

# قائمتي

نفحات ملكوتية  
من سيرة  
مجاهدين قادة  
مضوا...  
خلال الحرب  
المفروضة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب: **قائدي** (سلسلة سادة القافلة (5))  
تدوين: علي أكبر خاوري نجاد- حسن كلشين- هادي  
جمشيديان- عباس باسيار- رحيم مخدومي-  
أحمد كاوري- داود اميريان-  
ترجمة وإعداد: مركز نون للتأليف والترجمة.  
نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.  
الطبعة: الأولى، كانون الثاني 2014م - 1435هـ.

# قائدي

نفحات ملكوتية من سيرة مجاهدين قادة  
مضوا ... خلال الحرب المفروضة

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية  
للتنظيم والتدريب



## فهرس

7	مقدمة
9	خير الافتتاح
11	«يا علي»
15	«مدني» يبوح بحمله
19	سأعود صبيحة عاشوراء
23	ليل الأهوار
29	خادم الزهراء
47	مهرجان النار
59	كالوردة الحمراء
67	في السماء.. عُقد القران
75	مسيح كردستان



## مقدمة

هذا الكتاب باقة من القصص القصيرة التي تحكي نفحات من معنويات وتضحيات عالية لثلة من المجاهدين في الجبهة، خلال الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بلغة سهلة، مشوّقة، دوّنها عددٌ من الكتاب الذين شاركوا في جبهات القتال. وهي من القصص التي طالعها القائد الإمام الخامنئي (حفظه الله)، وأثنى على مؤلّفه، وعبر عن تأثره العميق بمضامينها، كونها تحكي واقعاً جهادياً ميدانياً لثلة من المجاهدين والشهداء الذين سلّكوا درب التضحية والإيثار... فكانوا خير أنصار لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، لذا تراهم في أعلى درجات الحيوية والمعنوية والعزيمة وهم في أصعب الظروف وأشرس سوح القتال.

من هنا يسرّنا في مركز نون للتأليف والترجمة أن نقدّم هذا الكتاب إلى إخواننا وأخواتنا راجين من المولى العلي القدير أن يوفّقهم لقرائته والاستفادة من دروسه وعبره.

والحمد لله رب العالمين

مركز نون للتأليف والترجمة  
للإسلام والعلوم والآداب





## خير الافتتاح<sup>(1)</sup>



«السلام عليكم يا أولياء الله وأحبابه، السلام عليكم  
يا أصفياء الله وخيرته، السلام عليكم يا أنصار دين الله  
وأعوان وليّه ...

يا آيات الله، يا معجزات الإيمان، يا دلائل سمو الإنسان  
الخالد...

يا ورودًا حمراء لم يستطع كلُّ فساد العالم المعاصر  
وتلوّثه، أن يمنع من تفتّحها،

يا برقًا شديدًا أنار دنيانا المظلمة..

يا حبةً دامغة على قاصري النظر، أولئك الذين يعتبرون  
أن رقي الإنسان الإلهي غير ممكن في عصر غلبة المادة.

لقد أحبيتهم فينا ذكريات مسلمي صدر الإسلام،  
وأظهرتهم الصدق والإرادة والفناء في الله، أكثر منهم.

أولئك الذين سنحت لهم فرصة الاستفاضة المعنوية  
والقلبية، من أنفاس النبي ﷺ وآيات القرآن المنزلة

(1) كلمة دوّنها سماحة الإمام القائد الخامنئي (حفظه الله) على حاشية الكتاب، بعد الانتهاء من مطالعته.

المتتالية. لكن ماذا عنكم؟! لقد جسدتهم الخلوص  
والتقوى حقًا، وصرتهم جنودًا لا تقين لذلك الإمام الذي كان  
بحق، مظهر الخلوص والتقوى.. سلام الله عليه وعليكم،  
وهنيئًا لكم رحمة ربكم..

كتبه بيمينه الوازرّة، أسير أمانيه وذليل نفسه، عليّ  
الحسينيّ غفر الله له ورحمه، وحشره مع أوليائه وألحقه  
بهذه الزمرة الطيبة. آمين.

تمّت مطالعة هذا الكتاب في الثالث عشر من رجب  
لسنة 1411هـ بعين مليئة بدموع الشوق وحسرة الزيارة.

الإمام السيد علي الخامنئي دامت له

## «يا عليّ»

عملت تحت إمرة «مدني» سنة كاملة، وما زلت إلى الآن مندهشاً من أفعاله! لعمري إنه فيلقُ بحدّ نفسه! ولا يدري أحدنا أضحك من عجيب أفعاله أم يبكي. كُنّا لا نستطيع أن نثبت على حال في محضره: تارة نشعر بالمهابة، وأخرى نذوب عشقاً! هكذا كان يقول الأخ «خادمي».

ثمّ يكمل: بدنه يدلّ على أنّه «مؤمن»، هكذا كان يصفه إخوانه! كان مظهره يحرق القلب! جسم نحيف، عيان غائرتان في وجه برزت عظامه من شدّة الضعف. لم يكن «مدني» الرجل المناسب في المكان المناسب حتّى في نظر الأشخاص العاديين، فكيف بالذين يزدادون كلّ يوم شبراً؟! ولكنّ روح الحقيقة هي أنّ خصلةً من شعره، أثنى من وجود هؤلاء المدّعين المتكّفين بأسره، ومن كلّ ما يملكون وما لا يملكون.

كان كلّ من يسمع اسم «مدني» ينتظر أن يقابل إنساناً ضخماً! وحينما يراه في المرّة الأولى، يظنّه ساعي البريد في الكتيبة أو عامل «الإشارة» فيها كحدّ أقصى. ولكن عندما يعلم أنّه قائدها، قائد تلك

الكتيبة المدرّعة، يُردّد في نفسه غير مُصدّق: «جلّ الخالق!»

ويتابع «خادمي» حديثه فيقول:

في ذلك اليوم آذتنا الدبابات العراقية كثيرًا. وفي النهاية، وبعد أن أطلقنا جميع الصواريخ باتجاهها، استطعنا تدمير معظمها، وما بقي منها سالمًا، لاذ بالفرار من ساحة المعركة.

حقًا إنهم أعداء جبناء! كيف لا، ولو أنهم بقوا في أرض المعركة وقاتلوا، لم نكن لنمتلك شيئًا نواجههم به! بحق الحسين عليه السلام لم يكن يتوفّر لدينا أيّ عتاد أو ذخيرة!

لقد سكّنتّ خواطرننا، وشعرنا في تلك اللحظات بأننا نستطيع أخيرًا التقاط أنفاسنا. لكننا لم نكد نجلس لنستريح، حتّى أطاح انفجارٌ رهيب بنصف الساتر الترابيّ، وعلا ركامه في الهواء! وعلى الفور هدر صوت دبّابةٍ عراقيةٍ تتحرّك خلف الساتر الترابيّ.

لم تكن تلك اللحظات لتوصف. كان صوت الدبّابة في كلّ لحظة يقترب منّا أكثر فأكثر، ولم نكن في ذلك الحين نملك أيّة طلقة للدفاع عن أنفسنا. أحسنا بثقلها يكتم أنفاسنا، كأنما جنزيرها يتحرّك على صدورنا ويطحنها وينتزع قلوبنا من مكانها.

لم نكن نملك طلقات أو صواريخ. ولم نكن نملك الحول والقوّة للمواجهة! وكيف لنا أن نجابه الدبّابة بالرشاش؟ إلاّ أنّه كان «لمدني» رأي آخر!

.. «يا عليّ».. من جديد عاد «مدني» ليظهر! حمل الرشاش وقفز فوق الساتر الترابيّ، ثمّ قال بلهجته الأذربيجانيّة الجميلة: «أنا ذاهبٌ أيّها الإخوة!»

- إلى أين؟!

لكن «مدني» لم يكن من أهل التوضيح والبيان. وكان على من يريد معرفة الجواب أن يسرع إلى خلف الساتر. رأيناها بعيوننا هذه يذهب، إلا أننا لم نصدّق! الجميع ذهلوا، ووثبوا فجأة كالمصعوقين بالكهرباء فوق الساتر. كان «مدني» يشدّ الخطى نحو الدبّابة كمن عثر على صديقه القديم بعد طول انقطاع. وكانت الدبّابة قد ثبتت في مكانها، تنتظر بشوق مثله فاتحة ذراعيها لاحتضانه.

- ... «مدني»! ماذا تفعل؟! هل جُننت!... ارجع!

ترنّح رشاشه كالمعول فوق كتف الفلاح، وهو يتقدّم بخطى ثابتة إلى الأمام... حتى تلك اللحظة لم تكن الدبّابة قد تحرّكت. فجأة، أدارت سبطانة مدفعها! ومثلما يدور رمح ليخترق قلب الإنسان، دار المدفع ليستقرّ في مقابل «مدني».

قبض الأخ «رحمتي» دون أن يشعر على حفنة من التراب، وأخذ يضغط عليها دون وعي، و«مدني» يقترب في كل لحظة أكثر فأكثر... وحده «مدني» وإله «مدني» يعلمان بأية نية وأية إرادة ولأيّ دافعٍ قام بما قام به!

عندما وصل إلى مسافة خطوات من الدبّابة، وقف على هيئة المظلوم مائل العنق، وحدّق ملياً دون أن ترتفع يده وتقبض على الزناد. حقاً كان حائراً مثلنا! بدا وكأنّه ينتظر أن تبادله الدبّابة أطراف الحديث!

كانت لحظات صعبة، ليس على «مدني»، بل علينا نحن. كأنما حملنا على أكتافٍ مكسورةٍ وعاجزةٍ، صخرة عظيمة الثقل! أُصِبتنا بالمِ في الرؤوس ودوارٍ شديد، وأظلمت الدنيا في عيوننا وأوحشت. هل ستكون النهاية الآن، أم بعد لحظات؟!

كان «مدني» صامتاً والدّبابة كذلك، وكان ساكناً وهي كذلك! أمّا نحن فكنا كأتون نارٍ ملتهبٍ، ننتظر بلا حيلة أن يتقطّع ويتناثر في أيّة لحظة. كانت لحظة شؤم لا فرار منها! والانتظار ألقى بظله المخيف والقاتل. كنا كمن يرغب في أن يسمع ويخشى ذلك في آن، ويرغب في أن يشاهد ما سيحصل دون أن يجرؤ على ذلك... أيكون ذلك الآن أم بعد لحظات؟!

فجأة، فُتح غطاء كوة الدّبابة، وارتفعت من داخلها يدا اثنتان متحاذيتان، ومن خلفهما بدت سبطانة رشّاش وخوذة كتب عليها: «دخيل الخميني!». وما هي إلا لحظات حتّى علا «مدني» ظهر الدّبابة وأسر الجنديّ العراقيّ وهو يُمسك بأذنه، ويصرخ به: دُسّ على الوقود.. «أعطِ وقوداً!

داس الجنديّ العراقيّ على الوقود، فإذا بالغول الأسود المروّض<sup>(1)</sup> يدبّ نحونا.... ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾<sup>(2)</sup>.

(1) الدبابة.

(2) سورة الأنفال، الآية: 18.

## «مدني» ييوح بحمله

أُحِبُّ الرجال ذوي القامات القصيرة وبالخصوص ذوي الهمم العالية. وحينما أهيم في حبهم أَسْعَى بكلِّ قُوَّتِي إلى مرافقتهم بأيَّة وسيلة كانت!

ختم «خادمي» كلامه وهو يميل برأسه جذلاً، وتابع قائلاً: اليوم، أَسْعَفُنِي الحظُّ بأن أكون ساعةً من الزمن في سيارَةِ «مدني» قائد الكتيبة، وأن أرافقه إلى منطقة «كرخه نور». وتمثَّلت سعادتي الأخرى بأنني استطعت خلال ذلك أن أنفذ إلى قلبه المتألِّم، وأسمع آلامه بنفس لهجته الأذريَّة الفصيحة حيث قال:

كنا قد حوَّصرنا في ذلك اليوم! كنت وحدي ومعِي اللهُ، ومن حولي جثث القتلى وهياكل الدبابات العراقيَّة المحترقة، وأجساد إخواني الشهداء الذين فقدتهم قبل لحظات. وفي الطرف الآخر، كان العراقيُّون يقتربون، وهم يُجهزون على جرحانا الذين يقعون في أيديهم. جلستُ عند رؤوس الشهداء وأخذت رأس كلِّ واحد منهم على حدة. وضعته على ركبتي وقرأت له الفاتحة. كان قلبي ينوء بما لاقاه، وقد أضعفت «السيد» أيضاً ولم أعد أعرف شيئاً عن مصيره. لقد كان «السيد» المغفور له قائد العمليَّات، وكنت أنا معاونه آنذاك.



في تلك اللحظات العرفانيّة، بلغتُ مقام القرب من الشهداء، وشعرتُ بأنّهم جميعاً يكلمونني. وكنتُ عاهدتهم أن أكون الأسير الذي سيحفظ دماءهم في زنازين بغداد، ويحمل رسالة كربلاء إلى الشام.

وبينما أنا أريح جثمان آخر الشهداء على التراب، شدّني الفضول إلى أن أعلو إحدى الدبّابات التي سقط بداخلها قتيلان عراقيّان. بدا واضحاً من قمرة القيادة السالمة أنّ كليهما قُتلا بالسلاح الخفيف. وباستثناء أضرار جزئية، لم تكن الدبّابة قد أُصيبت بأي عيب..

تنازعتني شعور بالأمل اشتعل في قلبي، وتعلّقت عينايا بالعراقيين الذين كانوا يقتربون في كلّ لحظة أكثر فأكثر. كان عليّ القيام بعملٍ ما على الفور! ولكن لم أكد أنتهي من إخراج الجثة الثانية، حتّى أسرع العراقيون نحوي. أغلقتُ فتحة كوة الدبّابة بسرعة، وانهمكتُ بدم باردٍ بالعمل محاولاً تشغيلها. وبشقّ النفس، سارت الدبّابة نحو الطريق، وأضحى العراقيون الآن يفرّون مني، وهم يطلقون النار عليّ من كلّ صوب.

في تلك اللحظة تذكّرتُ «السيد». السيد «مهدي اللّجوردي». هل يا ترى أسر أم أنّه استشهد؟  
إن شاء الله يكون سالماً.

كان أمامي العارض الحساس. وهو ممرّ ضيقٍ أمامي. إن أنا عبرته

سأنجوا! ومن حظي أنّ الدّبابة التي كنت أقودها عراقية؛ وكانت سبيلي إلى النجاة؛ فقلّة من الأشخاص كانوا سيشكّون فيها وهي تتحرّك في المكان.

كنتُ قد اقتربت من المضيق، حينما رأيتُ ثلاثة أشخاص مطروحين على الأرض، في الرّمق الأخير من الحياة. لكنّهم ما إن رأوا الدّبابة حتّى سارعوا إلى الزحف جانباً. وفهمتُ من محاولتهم الانسحاب من أمام الدّبابة، أنّهم من عداد قوّاتنا! وفي تلك اللحظة شاهدتُ ما أثلج صدري أكثر بألف مرّة من الفرار والتحرّر. فأحد أولئك كان «السيد» الذي استشهد فيما بعد، أمّا الآخران فكانا من المقاتلين المسنّين في فرقنا. وحتّى تلك اللحظة ظنّوا أنّني عراقيّ. فتحتُ غطاء الكوّة بسرعة وأريتهم نفسي.

أثار صعودهم إلى الدّبابة شكّ العراقيين الذين كانوا عند الممرّ؛ فسدّوا الطريق. ومع تلاوة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾<sup>(1)</sup> وضعت قدمي على دواسة الوقود، واندفعتُ بالدّبابة فتهاوى السدّ الهشّ. وفي غمضة عين عبرنا، وأضحى الممر خلفنا. وما هي إلا لحظة حتّى أمطرنا بقاذفات «الآر بي جي» من الخلف. كان الله هو الذي يحرف مسار هذه الصواريخ، ونحن نقرأ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا... ﴾.



(1) سورة يس، الآية: 9.



## سأعود صبيحة عاشوراء



اليوم هو أوّل أيام محرّم. خاط «مدني» قطعة قماش سوداء فوق جيب قميصه كتب عليها «السلام عليك يا أبا عبد الله». في تلك الأيام، كان «مدني» يركب درّاجة نارية حمراء، حصل عليها حديثاً من الجيش. بدت درّاجته كحصان عالي الظهر، وبدا هو كفارسٍ همام يعلوها. وعلى الرغم من أنّ الصيف كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، إلا أنّ شمس «شلمجه»<sup>(1)</sup> المحرقة كانت لقربها من الأرض، تتسجّ قامة كلّ ظلّ على بدن الصحراء القاحلة! صارت الوجوه سوداء، وابتلت الثياب بالعرق من الرأس حتّى أخصّي القدمين. وفي كلّ موقع، ابتدع مقاتلونا حيلة لدفع الحرّ. ربطوا قطعة من الخشب بحبلين متدليين من السقف، ثمّ ربطوا حبلًا آخر بها من الأسفل يمكنهم من شدّها وإرخائها، فصار لديهم مروحة يدوية! في ذاك القيظ عادة ما كنتُ أتجوّل بقميصي الداخلي، لكن أمام «مدني» كان لديّ حياءٌ خاصّ. كنت عند حضوره ألبس بزّي العسكريّة، وألقي السلام فأسمع ردّه، ونتبادل السؤال عن أحوال كلّ منّا.



(1) شلمجه: منطقة عمليّات في تلك الأثناء.

كان وقت العصر قد اقترب، وفيما أنا جالس داخل الموقع، أستمع

إلى الراديو الذي كان يبثُّ أشعارًا عرفانيّة غزليّة:

«أيّها العاشق المجنون

أحضر لحظة إلى الخرابات

فكأسك من خمر البستان

ثمّ تعال بعدها إلى المناجاة..»

انبرى المسؤولون عن توزيع طعام العشاء، ينادون على الرجال، ولم

يكن الظلام قد حلّ بعد، والشمس تشعّ فوق الرؤوس. فهنا يُحضرون

طعام العشاء في حدود الساعة الرابعة عصرًا.

تفرّق الإخوة شيئًا فشيئًا بعيدًا عن السيّارة بعد أخذ الطعام،

وكنت أنا آخر من أخذ حصّته. هممت بالدخول إلى الموقع، لكنّي

رأيت «مدني» ينعطف بدراجته الحمراء من منعطف «شمران» آتيا

نحونا. على الفور وضعت الطعام جانبًا، ورجعت لأقف على طريقه،

كي أسأله عن أحواله. كان صوت سيّارة الطعام المبتعدة، يختلط في

أذني بصوت محرّك درّاجة «مدني» التي باتت على مسافة قصيرة

مني.

فجأة، مزّق الفضاء صوتٌ مدوّ لقذيفة هاون! دار رأسي وحرار

فكري، فالإنفجار شديد. على الفور انتشر الدخان ورائحة البارود

داخل الموقع. أنصت خائفًا؛ كي أتعرّف إلى صاحب الصرخة. كم

هي زاجرة! إنها صرخة «مدني»! ولعلّها صرخة لم تخرج من حنجرته

يوماً، بسبب عنفوانه ووقاره. صرخة ما أسرع ما نجد معناها الحقيقي  
«يا أبا الفضل... يا أبا الفضل...»

وصلتُ إليه قبل الآخرين، وعالته وسط التراب والغبار. كانت  
الدراجة قد سقطت على قدميه وهو ما زال ينادي. ارتبكت... حملته  
من تحت إبطيه حتى أخرجه من تحت الدراجة، لكن... ذهلت لما  
رأيت، قدمه اليسرى المعلقة فقط بالجلد الدقيق، كانت قد بقيت  
تحت الدراجة، بينما خزّانها المثقوب ينصبّ منه الوقود كالميزاب  
على جروحه.

رفعتُ الدراجة عن قدم «مدني» بسرعة، وسحبته شيئاً فشيئاً إلى  
أمام الموقع. كانت رجله المعلقة تُسحب خلفنا على الأرض. في هذه  
اللحظة وصل الإخوة، وتعاونوا على ربط رجله من فوق الركبة. وضعنا  
«مدني» داخل سيّارة الإسعاف، لكن كلامه الأخير ألهب مشاعري من  
جديد: «سأعود بعد عشرة أيام!».



اليوم هو يوم عاشوراء، وقلبي حزين لأجل «مدني». قالوا إنه سيأتي في هذا اليوم، لكنّ أحدًا لم يكن ليُصدّق ذلك، إلى أن رأوه في النهاية بأعينهم، يخطّ الأرض فوق صحراء «شلمجه» بقدم واحدة وعكّازين، ويمضي دون أن يقبل مساعدة من أحد، نحو خنادق الخطّ الأمميّ.

## ليل الأهوار

تحكي هذه السطور عن صلابة السيّد «علي رضا القوام»، مساعد قائد كتيبة «نوح» في الفيلق الحادي والعشرين، فيلق «الإمام الرضا عليه السلام»... ذكريات عظيمة ومهيبة أشبه بالخيال منها بالواقع... أكتبها فقط لمن يؤمنون بإيمانه!

كانت المرّة الأولى التي رأيتُ فيها «علي رضا»، قبل عشرين يومًا، في المسجد الجامع لمنطقة «كاشمر»<sup>(1)</sup>، حيث اجتمعنا مع الإخوة بعد عمليّات «كربلاء 4» لتحليل ما جرى. دخل «علي رضا» إلى ذلك المكان، فتحلّق حوله معظم الإخوة ممّن عرفوه. كان شابًا طويل القامة، وأثار الجبهة ما زالت على ثيابه، ويمكن جمع حفنة من رمل الجنوب<sup>(2)</sup> من على بنطاله العسكريّ. صافح الإخوة فردًا فردًا، ونادى واقفًا وهو على نفس تلك الأهبة: «من سيأتي؟»

لم يكن قد مضى على رجوعنا من عمليّات «كربلاء 4» أكثر من يومين، فإذ بنا نشدّ الرحال نحو «شلمجه» بدعوة من «علي رضا».



(1) كاشمر: مدينة صغيرة، في محافظة خراسان، تقع جنوب نيسابور.

(2) هي منطقة الحرب المفروضة أيام الهجوم العراقي الفاشم على الجمهورية الإسلاميّة.



جلسنا في إحدى مقصورات القطار الذي كان يقلّنا. طريق السفر ليلاً  
 أتاح لنا التأمّل في شخصيّة هذا القائد الذي كانت كلّ صفة من صفاته  
 تبعث على الإعجاب: التواضع، الوقار، الرحمة، حسن الخلق، طيب الكلام،  
 مجموعة من الخصال الحميدة والجذابة زادت من تعلّقي به.  
 كان برأسه الملتصق بزجاج النافذة، يرقب السهل الممتد أمامه،  
 فيما تسمّر نظري على مشاهد النور والظلمة المترائية فوق السهل  
 يعكسها ضياء القمر المستلقي فوقه. انشغل بقيّة الإخوة بتبادل  
 أطراف الحديث. وبينما كنت أدير وجهي، لمحت «علي رضا» ينظر  
 نحوي، وجرى حديث بيننا:

- «يا ليل هذا الوادي!»، قال «علي رضا».

- «منير بنور القمر!»، أجبته.

- «أيمتاز بشيءٍ آخر؟»

- «السكون».

- «أمّن شيءٍ آخر؟»

- «أحقًا تقصد ما تسأل عنه؟»

أجاب ضاحكًا: ماذا أفعل، هي عادة عندي!

فقد كان «علي رضا» معلّمًا في قرية «حاجي آباد» في منطقة «كاشمر».



أسدل الليل ستاره، وعمّ الأهوار<sup>(1)</sup> صمت ثقيل. كنتُ أحرّك  
المجداف بهدوء على سطح الماء، والقارب ينساب على صفحة النهر،  
يشقّ عبابه نحو الأمام. وقف «علي رضا» خلفي على سطح القارب،  
ونظر إلى الجهة المحاذية... كنت أعلم أنه يلتهب حماسًا، وأعرف ما  
الذي يدور في فكره، وفي أذهان جميع الأخوة في كتيبة «نوح».

غداً ليلة العمليّات، عمليّات «كربلاء 5»..

ارتجف قلبي وأنا أفكر بما سيحدث في الغد. وفي داخلي المرهف  
اختلج شعور مشوّق وجميل، احتلّ تفكيري بالكامل. ومن تلك اللحظة  
كان مشهد الغد يتراءى أمامي، حيث ينتظر شروق الشمس ليتحقّق.

«أخض رأسك!»

تمدّدتُ على سطح القارب فور صدور الأمر من «علي رضا». تبلّ  
خديّ وسرت إليه البرودة. تسرّب عبق «الأهوار» إلى مشامّي، وكأني  
أتحسّس جذوع القصب الخضراء. أخذتُ نفسًا عميقًا وأغمضتُ  
عينيّ لحظة، وفجأة، بهر عينيّ، ومن خلف جفوني المغمضة، بريقٌ  
لامع. قنبلة مضيئة أحرقت الظلمة فوق رؤوسنا! وبعد عدّة لحظات،  
تابع القارب انسيابه مخترقًا سكون «الأهوار»، وتابعتُ تحريك  
المجداف بهدوء، و«علي رضا» في صمته يُحدّق إلى الجهة المحاذية  
بهيام.



(1) منطقة في جنوب إيران في محافظة خوزستان.

كان النسيم يهبّ فيلّح وجهي ببرودته ورائحته العفنة. وتناهى إلى أسماعنا صوت نغمات متقطّعة تصاعدت من بين أعواد القصب المتراقص على نفحات ذلك النسيم. كان نظري مسمّراً على «علي رضا» طيلة الوقت. فجأة، التفت بوجهه إلى الورااء. بحثت عن عينيه في الظلمة. هز رأسه مشيراً إليّ، فحوّلت مجرى القارب إلى جانب الشاطئ. لقد وصلنا إلى الخط الأمامي للجبهة.

«سأنفّح خط الجبهة وأعود سريعاً!»

قفز من القارب، وانسلّ بهدوء وخفة بين القصب.



تسلّل صقيع ليل الأهوار إليّ من فوق لباس الغوص الذي كنت ارتديه، وسلبني كلّ أفكاري. رحّت أفرك يديّ إحداهما بالأخرى، وأمرّرها فوق وجهي في الوقت الذي ركّزت نظري على المسار الذي سلكه «علي رضا»، بانتظار عودته.

كانت الريح تراقص جذوع القصب، فتبعثُ أشكالها الموهمة الاضطراب في نفسي. وقفتُ ونظرتُ إلى خط الجبهة. وفجأة، ألقى صوت انفجار ضعيف بثقله على سطح القارب. خفق قلبي بشدّة، واستسلمت لهذا الثقل الذي سحق كلّ وجودي تحته.

- لا يكوننّ «علي رضا»؟ -

تقاذف الاضطراب والوهم روحي. وعدت مجدّداً إلى الانتظار.. ما كان صوت الانفجار ذاك؟ إن كان «علي رضا» قد جرح، فكيف

سأسحبه؟.. وماذا عن عمليّات الغد؟  
 نهضتُ ونزلتُ من القارب، وبدأتُ أسير مشغولاً بالإجابة عن  
 الأسئلة التي تلاحقت في ذهني. وتوغّلتُ في المسير. وصلتُ إلى خط  
 الجبهة. بدأتُ أتفّس ببطء. عبرت من بين الأسلاك الشائكة، وعلى  
 مسافة قليلة، رأيتُ «علي رضا» كالظّل، جالساً يحدّق بالمنظار إلى  
 الطرف المقابل. تقدّمتُ إلى الأمام بضع خطوات نحوه، وقلتُ بصوت  
 مكتوم:

- «علي...»

دعاني إليه بإشارةٍ من يده. وصلتُ إليه بقفزةٍ واحدة، ووضعتُ  
 أذني بالقرب من فمه.

- «سوف أبقى هنا حتّى مساء الغد. ليبدأ الإخوة تحركهم من نفس  
 هذا المكان، اذهب!»

رجعتُ بسرعة. لم أقل حتّى كلمة واحدة. كنت أعلم أنّه يقوم بما  
 عليه بنجاح على الدوام.



منذ الأمس وحتى هذه الليلة، بَلَغَتْ رُوحِي الحلقوم.. اجتزْتُ الممرَّ  
 أسرع من الجميع، حتى أصل إليه.  
 - هه.. هناك! أشرتُ بيدي نحوه. ركضتُ مستعجلاً كي أبلغه.  
 - «علي لقد جئنا... علي!»

لكّني تجمّدت في مكاني فجأة، ورحتُ أحدق في الظلّ الجالس  
 أمامي! كانت رجلاه قد قطعتا من الركبتين، ويداه كمثل وتدين  
 محكمين أبقتا على وضعيّة جلوسه! إنّه ذلك الانفجار، رفع صورته  
 الملكوتية نحو بارئها...  
 آه، يا لليل هذا الهور!



## خادم الزهراء

كنت قد استلقيتُ على سرير أشاهد الأخبار عبر التلفاز. وفي سياق تمجيد بطولات المجاهدين، أعلن المذيع عن خبر تحرير جزر «بوارين»، فغمرت وجوه جميع الإخوة علامات السرور والطمأنينة، وصاح أحد الجرحى بعنفوان: «سلامة مجاهدي الإسلام صلوات...» ملاً فضاء الغرفة صوت الصلوات العذب. غمرتني السعادة في تلك اللحظة، وتمنيت أن أتعافى؛ لأعود الالتحاق بالإخوة في الكتيبة. كنت في كتيبة «ميثم» عندما أُصِبتُ بشظية في الأمعاء خلال عمليات «كربلاء 5». ومن ثم نُقلت إلى هذه المستشفى للعلاج، كان ذلك قبل أيام عدّة.

كان البُعد عن الإخوة من جهة، وجراحي البالغة من جهة أخرى، يؤذياني بشدّة؛ وكنت حتى يومنا هذا، قد أخضعتُ لثلاث عمليات جراحية، والعملية الرابعة في انتظاري!

في هذا الوقت، دخل جلال - أحد أصدقائي الأوفياء - إلى الغرفة. كان ساعي بريد كتيبة «مالك الأشر» من الفيلق السابع والعشرين، فيلق محمّد رسول الله ﷺ، وقد أصابته رصاصة في وجهه جعلته طريح فراش المرض.

كان جلال شاباً ذا قلبٍ حيٍّ يمنح المعنويات للإخوة دائماً؛ عندما رأيته، استويتُ في فراشي قليلاً وسلّمتُ عليه. قبل جلال جبهتي وقال:

«لك سلامي الخالص. كيف حالك؟»

قلت: «هه، ما زلت أتنفس! ما الأخبار؟».

نظر إليّ بحنان وقال: «عندي لك خبرٌ مهمّ. أعطني أجري حتّى أتكلّم».

قلت: «حاضر يا أخي، أجرك في الثلاجة، أحضر كمبوت الكرز [علبة الكرز] وقل الخبر».

قال: «لقد أحضروا تَوّاً أحد الإخوة من كتبية «ميثم» وعندما ذكرتُ له اسمك، عرفك على الفور. قم واقعد على الكرسيّ النقال حتّى آخذك إليه».

كانت يدي ومعدتي متصلتين بأنبوب المصل وأنايب أخرى، فلم أكن أستطيع السير، لكنني نزلت عن السرير بمساعدة جلال - وأنا لا أعرف لشدة سروري، رأسي من قدمي - وجلست على الكرسيّ النقال... دخلنا الممرّ، وبعد لحظات كُنّا في الغرفة رقم 12. تفحصتُ بنظرة سريعة وبوَعٍ خاصّ، الوجوه المغبرة للجرحى، الذين وصلوا حديثاً من الجبهة. وفجأة توقفتُ عيناى عن الحركة، بلى! إنه هو بعينه، «مهدي»، أحد الإخوة في حظيرة إسناد<sup>(1)</sup> كتبية «ميثم»، والذي كان يعمل على مدفع هاون من عيار 60 ميليمتراً. شعرتُ بفرحةٍ من

(1) تسمية عسكرية لمجموعة قتالية تعمل على أحد أنواع المدفعية والصواريخ.

مَلِكُ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا . سَاعَدَنِي جَلالٌ عَلَى الاقْتِرَابِ .

كان «مهدي» يتأملني غير مصدق بأنني ما زلت حيًّا . تَوَكَّأَ عَلَى رِجْلِهِ السَّليمة ، وسحب نفسه نحو الأمام . سلّمنا أحدنا على الآخر وتعانقنا والدموع تملأ عيوننا . ظلّ مهدي ساكنًا برهةً ، يُقبّل وجهي كلّ حين ، ثمّ ابتدأني بقوله : «أَفَرَرْتُ مِنْ عِزْرَائِيلَ مَرَّةً أُخْرَى ؟» قلتُ باضطراب وأنا أتفّس بشكل متقطع : «ماذا أفعل ؟ الباذنجان المرّ لا تصيبه الآفة» ، فارتسمت ابتسامة على شفاهنا نحن الثلاثة . وبعد السؤال عن الأحوال ، سألتُ مستقصيًا :

- «بحقّ، كيف أحوال الإخوة ؟ كيف حال الحاجّ حسين ؟<sup>(1)</sup> هل هو بخير ؟»

طأطأ مهدي رأسه . بدا كمن ألقى عليه ماء بارد . تغيّرت معالم وجهه وبقي ساكنًا . تسرّب الشكّ إلى نفسي ، سألتُ ثانيةً متضرّعًا : «قل بالله عليك، ما الذي حصل ؟ لا تقلق لجروحي . صدّقني، أستطيع التحمّل . إن كان لديك خبر، قلّه لي!»

استجاب لتضرّعي ، ورفع رأسه . انحدرت قطرات الدمع على خديّ ، وسالت على الأرض . كان متردّدًا ؛ لكنّه مسح دموعه وقال : «لقد تخلفنا عن قافلة الشهداء من جديد... «تقي زكائي»، «بابائي»، «مجتبى برات»، وآخرون من الإخوة في الفصيل الثالث من سريّة نينوى استشهدوا ليلة أمس الأوّل . الحاجّ حسين، أيضًا...»

(1) الحاجّ حسين طاهري، نائب قائد كتيبة «ميثم»، وسيأتي الكلام عنه بعد عدّة صفحات.



كانت شفتاه ترتجفان ولم يكن يستطيع أن يكمل كلامه. شددتُ على يده وحدقتُ في وجهه بنظرات ملؤها الأمل والشوق وقلت له:

«أوكنا غرباء عن بعض داخل الكتيبة؟! لم يبقَ كلام لم نقله لبعضنا البعض، فما بالك الآن؟ لم لا تريحني؟».

هزّ مهدي رأسه مؤيداً كلامي، وتأوّه ثمّ قال: «لقد وصل الحاجّ حسين أيضاً إلى أمنيته... قبلته الزهراء عليها السلام لخدمتها».

لم أستطع أن أصدّق. هل رحل فعلاً مساعد قائد كتيبتنا، الحاجّ المظلوم حسين؟! تبدّل حالي على الفور وأحسستُ أنّ الغرفة تدور بي... عندما استعدتُ وعيبي وجدتُ جلالاً يضعني على السرير بمساعدة الممرّض. كان بدني يرتجف. وانهمرت دموعي ثانية عندما استرجعت ذكرى ما قد سمعته توّأ.

تأثر جلال لحالي، فقال مواسياً:

«لا تفقد معنوياتك، أعلم أيّ أمنية لديك.. إن شاء الله نحقق نحن الاثنان أمنيتنا».



كانت نظرة جلال الصامته والرؤوفة تحتضني. رجعتُ إلى نفسي،  
وسرحتُ في صورة الإمام المعلقة على الحائط، واستسلمتُ شيئاً  
فشيئاً لذكريات قديمة:

.... كُنَّا قد أرسلنا في عمليّات «كربلاء 5». حينما وصلنا إلى  
معسكر «دوكوهه»<sup>(1)</sup> (معسكر الجبلين)، أخذونا إلى حسينيّة «الحاج  
همّت» داخل المعسكر. كان طقس شهر «شهر يور»<sup>(2)</sup> حارّاً ومحرّقاً،  
وجميع الإخوة يتصبّبون عرقاً. كان الجوّ داخل الحسينية خانقاً يحبس  
الأنفاس في الصدور. لم يكن هذا الأمر جديداً بالنسبة إليّ؛ لأنّها  
المرة الثانية التي آتت فيها إلى منطقة الجنوب.

في الدفعة الماضية، كنت «ساعي بريد» لقسم الاهتمام بأجساد  
الشهداء داخل الفيلق، ونلت سعادة المشاركة في عمليّات تحرير مدينة  
«مهران»<sup>(3)</sup> خلال عمليّات «كربلاء 1».

قضينا عدّة ساعات داخل الحسينيّة دون القيام بعمل محدّد. استلقى  
بعض الإخوة بمقصانهم الداخليّة، بللوا كوفيّاتهم ومناديل اليد،  
ووضعوها على وجوههم ليتّقوا- ولودقائق- حرارة الجنوب المُجهدّة.  
خرجتُ من الحسينيّة وتوجّهتُ نحو ميدان المراسم الصباحية؛ لكي

(1) معسكرٌ مشهورٌ جداً في المناطق الحدوديّة الجنوبيّة، وكان مقرّاً لمجموعة أئوية للحرس الثوريّ ومنه  
انطلقت عشرات العمليّات الواسعة وعشرات الآلاف من المجاهدين إلى الجبهات الأماميّة، وخرج  
الآلاف من الشهداء، من بينهم أشهر القادة العسكريّين. كُتِبَ عنهم الكثير من القصص والذكريات،  
وهو يُعدّ الآن من المعالم الجهاديّة والمعنويّة التي تحجّ إليها يومياً جموع غفيرة من الطلاب والسيّاح  
وعاشقي طريق الشهداء العظام..

(2) شهر من أشهر السنة الشمسية الإيرانيّة.

(3) مدينة حدودية، حصلت فيها معارك ضارية وكانت محور عمليّات استراتيجيّة.

أستعيد الذكريات الماضية. كانت غرفة القسم المذكور تقع بالقرب من مكان تجمّع المجاهدين. بعد تبادل الحديث مع الإخوة وتناول الغداء، صليتُ وعدتُ ثانية إلى الحسينية. في طريقي إليها لاحظتُ خضوت صوت الإخوة، تعجبتُ وأسرعتُ إلى الداخل فرأيتُ الجميع جالسين في صفوف منتظمة، وهم ينظرون إلى الأمام. خلعتُ حذائي العسكري بسرعة وجلستُ في الصف الأول. سألتُ الأخ الذي يجلس بجواري: «ما الذي يحدث يا أخي؟»، قال: «لا شيء! جاؤوا من عديد الفرقة وهم يقومون بتوزيع القوآت».

حبستُ أنفاسي ولبثتُ منتظرًا. تناقص عدد الإخوة تدريجيًا. وعندما بقي قرابة 350 إلى 400 مجاهد، قال الأخ الذي كان ينادي على الأسماء: «الذين لم يُنادَ على أسمائهم، سيكونون أفرادًا في كتيبة «ميثم» حديثة التأسيس. لطفًا، فليبقوا في أماكنهم حتى يحضر ممثل الكتيبة، ويأخذهم إلى المكان المحدد»، ثم خرج من الحسينية. بذهابه بدأ الكلام. كان الجميع يتحدثون ووجوههم مليئة بعلامات الاستفهام. سألتُ الشخص الذي جاورني: «عفواً يا أخي، لأي فرقة تتبع كتيبة «ميثم»؟». لكنّه كان مثلي يجهل الجواب. بعد عدّة دقائق، دخل إلى الحسينية رجل حسن الطلعة، ومشى بوقار خاص نحو الصفوف الأمامية، ثم توقّف. كان طويل القامة، مربوعاً، يرتدي الزي العسكري، وكان ينظر إلى الإخوة الذين أخذوا بالنور الذي كان يشع من عينيه. بعد قليل سلّم علينا، فرددنا السلام جميعاً. وبينما كان

يُخْرِجُ ورقة قال: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ ! مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّكُمْ أُبْلِغْتُمْ بِوُجُوبِ أَنْ تَخْدُمُوا الإِسْلَامَ فِي كِتَابَةِ «مَيْثَمَ». أَنَا الْعَبْدُ الْحَقِيرُ، أَحَدُ خَدَّامِ هَذِهِ الْكِتَابَةِ أَيْضًا. قَدْ جِئْتُ لِكِي أَكُونَ فِي خِدْمَتِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. أَتَمَنَّى لَكُمْ جَمِيعًا الصِّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ، وَأَسْأَلُكُمْ أَنْ تَحَافِظُوا عَلَى الْهُدُوءِ حَتَّى أَقْرَأَ أَسْمَاءَ الإِخْوَةِ. وَلِيَتَوَجَّهَ الَّذِينَ تَرِدُ أَسْمَاؤَهُمْ بِبَدَاءِ « شَهِيدٍ » إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَلِيَجْلِسُوا بِانْتِظَامٍ... مُحَمَّدٌ أَوْسَطِي، رِضَا شَعْبَانِي، مُحَمَّدٌ حَسَنٌ مَبْهُوتٌ، مُحَمَّدٌ حَسِينٌ مَبْهُوتٌ....».

كَانَ اسْمِي مِنْ بَيْنِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي نَادَى عَلَيْهَا. وَبَعْدَ عِدَّةِ دَقَائِقَ مِنَ التَّأَمُّلِ رَحَّبَ بِنَا مِنْ جَدِيدٍ، وَعَرَّفَ عَنِ نَفْسِهِ قَائِلًا: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ ! أَنَا هَذَا الْحَقِيرُ الْمَلِيءُ بِالتَّقْصِيرِ مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى أُخْمَصَ قَدَمِيهِ، اسْمِي «حَسِينٌ طَاهِرِي». سَأَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي خِدْمَتِكُمْ فِي عِدَادِ كِتَابَةِ «مَيْثَمَ». وَاقِعًا، لَمْ يَكْتَمِلْ بَعْدَ إِعْدَادِ مَحَلِّ إِقَامَتِنَا، وَإِلَى أَنْ يَصْبِحَ جَاهِزًا، سَنَقِيمُ بِشَكْلِ مُؤَقَّتٍ فِي الْمَكَانِ الْمُعَدِّ لِكِتَابَةِ «سَلْمَانٍ». وَالآنَ، لِيَحْمِلَ الإِخْوَةُ أَغْرَاضَهُمْ، وَلِيَأْتُوا خَلْفِي بِالصَّفِّ مُرَاعِينَ الْإِنْضِبَاطَ.

كَانَ هَذَا أَوَّلَ لِقَاءٍ لَنَا مَعَ «الْحَاجِّ حَسِينٍ». كَانَ يَتَوَلَّى مَسْئُولِيَةَ نَائِبِ قَائِدِ الْكِتَابَةِ. كُنَّا نَلْقَبُهُ بِالْحَاجِّ، رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى الْحَجِّ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ الْمَحَبَّةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي كُنَّا نُكْنَاهَا لَهُ. كَانَتْ أَخْلَاقُ «الْحَاجِّ حَسِينٍ» وَطَرِيقَةُ مَعَامَلَتِهِ لِلْآخَرِينَ تَأْسِرُ الْقُلُوبَ وَتَجْعَلُ الْجَمِيعَ عَشَّاقًا لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَرَدَّدُ فِي تَنْفِيذِ أَيِّ مِنْ أَوْامِرِهِ مَهْمَا بَلَغَتْ صَعُوبَةَ الْأَمْرِ.

بعد عدّة أيّام على وجودنا داخل المعسكر، جاء «الحاجّ حسين» و«الحاجّ أبو الفضل كاظمي» قائد الكتيبة لحضور المراسم الصباحيّة. ولمّا كان «الحاجّ كاظمي» من الجرحى، لم يكن يستطيع المشاركة كلّ صباح في المراسم. كان يقول دومًا، وقبل بدء العمليّات، أنّه هو القائد، ولكن حينما تدور رحى العمليّات فالقائد هو «الحاجّ حسين». وبعد تلاوة القرآن وقراءة الدعاء، وقف «الحاجّ أبو الفضل» خلف المنبر، وقال بعد المقدّمات:

«أيّها الإخوة! أحمل لكم خبرًا سارًّا، الليلة الماضية، حينما كنّا في جلسة للقادة، علمنا أنّ القرار قد اتُّخذ بأن تتوجّه كتيبتنا في مهمّة دفاعيّة إلى منطقة مهران».

ارتفعت أصوات تكبير الإخوة وصلواتهم. وطلب «الحاجّ أبو الفضل»، في تتمة كلمته، من الإخوة أن يتحضّروا للتوجّه، خلال يومين، إلى منطقة «مهران».

أمضينا اليومين في نقل أغراضنا، بمساعدة قسم الاهتمام بأجساد الشهداء داخل الفرقة. وأخيرًا، انتهى الانتظار وتوجّهنا نحو المنطقة. أُتيح لنا، في هذه المهمة، التعرّف إلى «الحاجّ حسين» عن قرب. فهو لم يسترح حتّى الصباح، وقام بنشر كلّ الكتيبة في الأمكنة والمتاريس المحدّدة. كان يجدّ أكثر من الجميع.

أذكر أنّه في إحدى المرّات لم يصل الماء والطعام إلى القوّات، ووقعنا في ضيق شديد. وعلى الرغم من أنّ «الحاجّ حسينًا» كان متعبًا

جداً، ركب بنفسه إحدى السيارات العسكريّة وذهب في طلب التموين. ولم تكن الشمس قد غربت بعد، حتّى وصل الحاجّ ومعه عدّة قدور من الطعام وكمية كبيرة من الخبز وخلفه سيّارة تنقل الماء.

لم يكن أحد يكبح كالحاجّ حسين. كان قليلاً ما ينام، يمضي ليله متفحّصاً متاريس الإخوة ومواقع الكمائن. كان يستريح مدّة ساعة أو ساعتين، ثمّ يستيقظ عند الخامسة أو السادسة صباحاً ويقوم بنقل الإخوة المضطّرين للاستحمام إلى خلف خطوط الجبهة ويرجع ثانية. كان يمضي النهارات في الحراسة والليالي في الكمائن، إلى أن حلّت أيّام محرّم. أقمنا المجالس طيلة يوم عاشوراء. أمسك بعض الإخوة في ذلك الطقس الحارّ والمحرّق عن الطعام، ولم يشربوا الماء حتّى يواسوا الإمام الحسين (عليه السلام) في عطشه. وبعد عدّة أيّام، أخلينا المكان لكتيبة أخرى وعدنا أدراجنا إلى معسكر «دوكوه».

استطاع الإخوة في جهاز الخدمات اللوجستيّة التابع للفرقة، وبجهد كبير، أن يكملوا بناء مقرّ الكتيبة. وبعد رجوعنا، وقبل أن نُنقل إلى مكان جديد، ذهبنا في إجازة لعدّة أيّام، بحسب النظام المتبع. وبعد ذلك بدأنا دورة تدريبيّة جديدة. كان «الحاجّ حسين» أحد الإخوة الذين قاموا بتدربنا. فيما بعد، علمنا أنّه كان المسؤول العام عن علم التكتيكات الحربية في كلّ معسكر الإمام الحسين عليه السلام؛ ولقّب بخليفة الشهيد «ميثم»؛ وهو الشهيد الذي امتلك شهرة خاصّة بين الإخوة بسبب حزمه ورأفته. كان «الحاجّ حسين» يجعلنا نركض أحياناً إلى أن

نسقط على الأرض من شدة التعب. ثمّ يأمرنا على الفور بالزحف وبعد ذلك بالتدحرج. بالطبع، كان يشاركنا جميع هذه الأعمال، بل وكان أسرع منا. فلو أمرنا بخلع أحذيتنا لنركض على الحجارة والأشواك، كان يخلع حذاءه العسكري قبل الجميع. وعندما كان أحد الإخوة يُخطئُ ويقتضي الأمر أن يُعاقب، كان ينفذ العقوبات جنباً إلى جنب مع الأخ المعاقب.

أوجد هذا السلوك علاقة حميمة وخاصة بينه وبين الإخوة. كان يعرف أسماءنا فرداً فرداً، وصار صديقاً للجميع. كان من موقعه يمزح مع جميع الإخوة، وكان رحيماً جداً.

شارك في مسابقات كرة القدم وكرة المضرب والركض، مثل البقية، وعند اللزوم كان يظهر بمظهر الشخص الجديّ والرزين جداً. كان للحاج حسين تعلق خاصّ بالزهراء عليها السلام، وكان يعتبر نفسه خادماً لها عليها السلام، وما إن كان يسمع باسمها الشريف حتى تغرورق عيناه بالدموع. وكلّما ناح قارئ العزاء رضا بور أحمد في رثائها، كان الحاج يذهل عن نفسه وتخلّق روحه، ويحترق قلبه بالأنين والدموع.

وكان شديد التعلق والعشق لسماحة الإمام الخميني قدس سره، وكان يلجّ على الإخوة في مجالس العزاء والدعاء، أن يكثروا من الدعاء لنجم جماران المنير.

كان شديد التواضع. يحمل المكنسة وينظف الغرف، وإن وجد وعاءً متسخاً قد ترك في مكان ما، كان يغسله على الفور ويعطيه للإخوة

في الوحدة اللوجستية. مثل القدوة لجميع الأخوة، فأحبّوه. في صلوات الجماعة، كان يقف دائماً في آخر صفّ. لم يكن يوماً يعتبر نفسه أرفع من الآخرين.

كنا قد نصبنا الخيام في «مخيم كرخه» لإجراء دورة تدريبية، و«الحاجّ حسين» معنا. في إحدى الليالي، استيقظنا من النوم على صوت انفجارٍ مدوّ. أسرعنا إلى خارج الخيمة لأرى ما الخبر. لم تكن رميات القذائف ولا أصدااء الانفجارات تنقطع لحظة واحدة. وعندما لم أجد حذائي العسكري، ركضتُ حافي القدمين؛ لأجد ملجأ؛ رأيتُ «الحاجّ حسيناً» مشغولاً بتوجيه الإخوة، فركضتُ مسرعاً نحوه وصحت: «إلى أين أذهب يا حاجّ؟».

قال: «اركض واذهب إلى ميدان المراسم الصباحية...». عندما وصلتُ إلى هناك كان الإخوة مجتمعين. انقطعَت الأصوات فجأة. كانت ليلة مخيفة. وبعد عدّة لحظات، جاء «الحاجّ حسين» وقال: «عافاكم الله أيّها الإخوة!» لم يجبه أحد لعلمنا أنه لا يجب التكلّم في الليل. وبابتسامة قال الحاجّ: «نعتذر عن الإزعاج، ولكن كنا نريد أن نخبر جهوزيتكم. الآن، فليقف الأخوة الذين ينقصهم شيء من التجهيزات في تلك الناحية».

تحركتُ أنا وعدد من الإخوة الآخرين إلى حيث أشار. أذن الحاجّ لبقية الإخوة بالانصراف، ثمّ توجه نحونا. أحنينا الرؤوس جميعاً. كان نور القمر قد أضاء الأرض. رَمَقْنَا «الحاجّ حسين» بنظرة ثمّ قال: «أيّها



الإخوة ! كما كنتُ قد قلت، يجب أن تكونوا مستعديين دائماً. هذه المنطقة منطقة محميّة، لكن لا أمن بتأتا لناحية الجهة الأماميّة. فماذا أفعل بكم الآن وقد خالفتم النظام؟»

لم نُجب. انحنى «الحاجّ حسين» وخلق حذاءه العسكريّ، ففهمنا قصده وخلق الإخوة أحدىتهم. أمّا أنا فقد كنت حافياً منذ البداية. رصّ الحاجّ الجميع في صفٍّ واحد وأعطى الأمر بالتحرك. كانت الأشواك والحجارة الصغيرة تنغرس في أقدامنا، وتجعل السير على الطريق صعباً، لكن قدميّ الحاجّ كانتا من الفولاذ. لم تظهر على ملامحه أيّ علامات انزعاج أو تألم، وهو يسير معنا جنباً إلى جنب.

رجعنا إلى محيط الكتيبة بعد أن قطعنا مسافة ونحن حفاة. ذهبنا إلى المخيمّ متعبين ومنهكين وعرجُ الأرجل؛ كي نستريح. لم يكن في قلبي أيّ شعور بالاستياء من «الحاجّ حسين»، بل كنت أسفاً نادماً لعدم انضباطي. صبيحة اليوم التالي، رأينا «الحاجّ حسين» في ساحة المراسم، يعطس بشكل متواصل. سألتُ الأخ دهقان مسؤول الفصيل عن السبب. ضحك وقال: «ليلة أمس، وعلى إثر الموجة الانفجاريّة، تمزّقت خيمة القادة، فناموا حتّى الصباح في برد العراء بغطاء واحد!». أنا أيضاً غلبتني ضحكتي، وشعرت بالخجل بعدها. ضحكْتُ من سوء حظهم، وخجلتُ من أنّ قادتنا كانوا يعانون أكثر منا.

كانت الأيام تمرّ، وكنا نزيد من جهوزيّتنا الجسمانيّة والمعنويّة. كان التعارف يزداد بين الإخوة في الكتيبة مع الوقت، وكذلك الألفة

والمحبّة. وفي كلّ يوم، كان عدّة إخوة يعقدون فيما بينهم عقد الأخوة، وكان الكثير منهم يمدّدون فترة مأموريتهم ويبقون في الكتيبة لشدة محبّتهم لإخوانهم.

سَرَت في أواخر شهر «آذر»<sup>(1)</sup> شائعة بين الإخوة حول احتمال القيام بعملیات ما، واستمرّت إلى أن أخبر «الحاجّ حسين» الإخوة في أحد الصباحات بالخبر اليقين، وطلب من الجميع الاستعداد للتوجّه إلى الخط الثاني للجبهة. وبالطبع، كان فيلق محمّد رسول الله ﷺ قد تهيأ أيضاً، واكمل عديد كتيبتنا.

لم يكن الليل قد حلّ عندما انتهينا من جمع الخيام، وتوجّهنا على الفور نحو المنطقة بواسطة حافلات النقل. وصلنا صباحاً إلى مقصدنا، ونزلنا في منطقة «بهمنشير». كان الطقس ماطرًا، استطعنا المشي ولكن بصعوبة. انهمك «الحاجّ حسين» في مساعدة الإخوة على نقل الخيام والتجهيزات، وقد غطّى الطين وجهه ورأسه ولباسه. كان العرق يسيل من جبينه، لكنّه لم يكن يأتي على ذكر تعب.

في الليلة التالية أحضروا خريطة العملیات، وأعطوا التوجيهات اللازمة بناءً عليها. في تلك الليلة، أخذنا تمويننا الغذائيّ والحربيّ وكنا نعدّ الدقائق حتّى الصباح، موعد البدء بالعملیات التي بدأت فعلياً الليلة السابقة تحت اسم «كربلاء4» وبانتهاء المقدّس «يا رسول الله».

(1) الموافق لشهر كانون الأول الميلادي.

وفي الصباح، حضر «الحاج حسين» عند الإخوة بوجهٍ مستاءٍ ومنقبض. تعجّبنا جميعاً متسائلين عن سبب انزعاجه. في البداية تزيّث قليلاً ثمّ قال: «بناءً على المعطيات، لن تُنفذ العمليّات الأخرى، ويجب علينا أن نعود أدراجنا!».

عند العودة إلى «كرخه» كان الجميع منزعجين، والحزن مرتسماً على الوجوه.

بعد عدّة أيام، وخلال مراسم صباحيّة مشتركة أُقيمت في الغرفة، اعتذر «الحاج كوثري» - قائد الفرقة - في حديثه إلى الإخوة (بسبب قرار عدم المشاركة)، ووعدنا بالمشاركة في العمليّات القادمة.

مضت عدّة أيام، إلى أن سمعنا يوم الجمعة على الراديو صوت المارشات العسكريّة، إيذاناً بإعلان نتائج عمليّات «كربلاء5» المظفّرة. ظهر التأثير جلياً على جميع الإخوة. كانت أصداء الصلوات والتكبير ترتفع من الخيام، والعبارات الحماسية تصدر من هنا وهناك.

في ذلك اليوم، جمع «الحاج حسين» الإخوة في ميدان المراسم، وطلب من الجميع أن يتجهّزوا بسرعة. بكى الإخوة شوقاً ولم تسعهم الفرحة. على الفور جمّعنا التجهيزات، وتحركنا باتجاه القافلة بواسطة حافلات النقل. انشغلنا من الليل وحتى الصباح، بنصب الخيام واختبار العتاد والتجهيزات عند «نهر الكارون»<sup>(1)</sup>. بعد الاستراحة وتقريباً عند الغروب، جُمعنا كلنا في مكانٍ واحدٍ. كانت تلك ساعات ما

(1) نهر الكارون: نهرٌ جنوبيّ غربيّ إيران، ينبع من زرد كوه (الجبل الأصفر) ضمن سلسلة جبال زاغروس، ثمّ يصبّ في شطّ العرب؛ ومنه إلى الخليج العربيّ مشكلاً دلتا جزيرة عبادان.

قبل العمليّات. تبدّل حال الإخوة، كان النور يسطع من الوجوه. بعضهم كان يبكي، وبعضهم الآخر يتوسّل واضعاً يده حول عنقه، وطالباً من الله فكّك الرقاب من الأوزار، وبعضٌ غرق في أنين المناجاة. ارتفعت أصداء الصلوات لحضور «الحاجّ حسين» الذي بدأ كلامه: «بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. عافاكم الله أيّها الإخوة. نعم! في النهاية حانت لحظة العمليّات، ويجب أن نتوجّه لأجل الإطاحة بالعدوّ الذليل. ولكن قبل أن نمضي، أريد أن أذكر بعدة نقاط:

«أيّها الإخوة! يجب علينا أن نعلم لماذا جئنا إلى المنطقة، وسعيًا وراء أيّ هدف شاركنا في هذا الجهاد. يجب أن نعلم أيّ نوع من الأشخاص هو عدوّنا.

غرقت عينا «الحاجّ حسين» بالدموع، وانتحب الإخوة وبكوا. والحاجّ أيضاً عجز عن إكمال الحديث لشدة البكاء. بعد ذلك قرأ الأخ «رضا بور أحمد» مجلس عزاء عن روح الزهراء عليها السلام، وتوسّلنا جميعاً بها عليها السلام لمدّنا بالعون في هذه العمليّات، وكان نداء بدء العمليّات أيضاً بالاسم المقدّس «يا زهراء».

تهيئاًنا للذهاب. ركبنا السيارات، وحينما وصلنا إلى خطّ الجبهة بدأنا الهجوم. ضربنا بنداء: «يا زهراء» في قلب العدو. كانت لحظات مصيرية. صرخات التكبير اختلطت مع أزيز الرصاص وأصوات القذائف المدوية. كان تراب الجبهة يفوح بعبق الملكوت. لم نعد نعي مكان كلِّ منّا. وكنا نردّد بيننا وبين أنفسنا كلام الحاجّ حسين

عندما وصلنا إلى «مثلث الشهادة»، استقررنا خلف السواتر الترابية. كان قلبي ينبض بتأثر وحماسة. خلال هذه المدّة، لم يكن الحاجّ قد مرّ بنا للاطلاع على أحوالنا. قلتُ في نفسي: لعله مشغولٌ في مكان آخر بتقديم المساعدة للإخوة. مضت عدّة أيام والعمليات على هذا المنوال، دون أن يحضر «الحاجّ حسين» إلينا. في اليوم الرابع جُرحت، فقاموا بنقلي إلى الخطوط الخلفية...



وهنا عدتُ إلى نفسي... واستعدت وعيي. كان ذلك قريب الصباح. وحينما صليت، ذهبتُ مجدّداً إلى غرفة مهدي بمساعدة جلال. كان مهدي قد أتمّ صلاته قبل قليل، ولا زال يقرأ زيارة عاشوراء. عندما رأني، تقدّم وقبّل جبتهتي وسأل عن حالي. قلتُ: «بالله عليك يا مهدي، أنا لا حول لي... قل كيف استشهد الحاجّ حسين؟».

مهدي الذي رأى إصراري، قال: «صبيحة ذلك اليوم الذي وصلنا

فيه إلى المنطقة، انشغل الحاجّ وعدد من الإخوة الآخرين بتوجيه المجاهدين، عند مثلث طرق الشهادة. هل تعرف الأخ ساغري؟ قلت: «نعم! أهو نفسه الذي كان في سرية «البيع»؟ قال: «نعم!» قبل العمليّات بثلاثة أيّام، قال للحاجّ حسين: «يا حاجّ سوف نستشهد أنا وأنت في مكان واحد». وقد حدث ما قاله بالفعل. استشهد «ساغري» بشطيّة، وبعد لحظات أصابت شطيّة أخرى «الحاجّ حسيناً» فنال أمنيته.

أرسل الحاجّ «أبو الفضل» جثمانه فوراً إلى الخطوط الخلفية؛ كي لا تُضعف شهادته معنويات الإخوة، وأوصانا - نحن الذين شهدنا الموقف - أن لا نتحدّث بشيء لأيّ شخص. كنتُ هناك، ورأيتُ الحاجّ. بدا كأنّه مستغرق في سباتٍ جميل. هنيئاً له..



بعد أن أُذن لي بمغادرة المستشفى، وجدتُ بعد البحث، المكان الذي دُفِن فيه «الحاجّ حسين». دُفِن في الجزء السابع والعشرين من روضة الشهداء «جنة الزهراء عليها السلام».

أسرعتُ يومها إلى محضره. نعم، إلى محضره، كيف لا وهو لا زال حاضرًا، وسيظلّ كذلك! وبكيتُ أمام الضريح على ذكرى الخواطر الماضية.



## مهرجان النار

تنفّس الصبح، وشيئاً فشيئاً كان نوره يشتدّ. خرجنا من مكان استراحتنا. كان برد شهر «بهمن»<sup>(1)</sup> يُخدّر الجسد، ويفسل النفوس من آثار النوم والنعاس. ومع هذا كنّا لا نزال متعبين، ولم يكن لأيّ منا القدرة على الاستطلاع والتجوال في أنحاء محلّ الخدمة الجديد. عصر يوم أمس، وبعد ست عشرة ساعة من الرصد والمراقبة الشديدة للطرق، والبقاء ما بين اليقظة والنوم، نقلونا بحافلة تعمل بصعوبة، إلى مقرّ كتيبة مظليّي شرطة «وَنَك». كانت دورتنا التدريبيّة قد انتهت وحضرنا إلى هذه الكتيبة لمتابعة خدمتنا العسكريّة. لحظة وصولنا خطفنا أبصارنا أضواء الزينة الجميلة المتلائيّة التي علّقت على المبنى الإداريّ للكتيبة بمناسبة الأيام المباركة لعشرة الفجر.

مع إسفار الصباح، كان موظّفو وعديد القاعدة يدخلون بالتدرّج. بالنسبة إلينا، نحن الغرباء عن الأجواء العسكريّة، ولا سيّما محلّ خدمة «قوّات المغاوير» (القوّات الخاصّة)، أثارت إعجابنا تلك الأبهة والوقار، والأجسام المتناسقة ذات العضلات المفتولة والبدلات الخاصّة.

(1) بهمن: يوافق شهر شباط الميلادي.



كان قد مرّ بعض الوقت على وصولنا إلى خطّ الجبهة، حينما صرخ العريف الحارس: «قف! تأهب! قدّم سلاحك!» موجّهاً نظر الجميع إلى جهة غرفة خدمات مركز القيادة، حيث توقّف جيب عسكريّ ترجّل منه رجل ما لبث أن توجّه نحونا. كان النقيب بطول مترين تقريباً، تغمر وجهه بشاشة ووقار، وله حاجبان سوداوان وشاربان معتدلان وكثيفان. كان يضع نظّارة شمسيّة ويرتدي لباساً مرّقطاً، ويلفّ عنقه بمنديل من قماش مظلةٍ أو شبكة التمويه.

لفت أنظار الأخوة وحدّقوا فيه بشكل لا إراديّ، حتّى إنّهُ بعد مضيّ عدّة أيّام على وجودنا في المعسكر واعتيادنا على الأجواء، ظلّ البحث عن هوية هذا الشخص شغلنا وحديثنا.

كان اسمه النقيب «محموديان»، من أبناء منطقة مازندران ومن عداد مغاوير القوة البحرية، والذي على ما يبدو، نُقل إلى كتيبة مظليي الشرطة. كان موضع ثقة جميع قادة الصفّ الأوّل الذين اختبروا مرّاتٍ عديدة شجاعته وحنكته في العمليّات المتنوّعة. شعر الإخوة بالفخر لوجودهم بإمرة هذا القائد، واندفعوا يُنفذون أوامره بكلّ إخلاص للمودة والصداقة التي بادروا بها، دون أن يساورهم خوف من تسلسل الرتب في الجيش.

كان قد مضى على وصولنا إلى المعسكر عدّة أشهر. وطوال هذه المدّة كنّا نتعلّم في كلّ يوم أشياء جديدة. في أحد الأيام شاع بين الإخوة خبر حول مهمّة جديدة في كردستان. بعضنا لم يصدّق، وبعضنا

وجد في التحركات غير المعهودة التي حدثت مؤخرًا، إشارة على أن ما يدور ليس مجرد كلام. وصحَّ ظنَّهم، فبعد مدَّة أبلغت المهمة الجديدة رسميًا وأعلن مكتب السريَّة أنه جاهز لاستقبال أسماء المتطوِّعين. فكَّرتُ عدَّة أيَّام في هذا الموضوع وعزمتُ في نهاية الأمر على الالتحاق ودوَّنتُ اسمي. ولحسن الحظِّ، تمَّت الموافقة على إرسالي. وبعد أن ذهبتُ في إجازة عدَّة أيَّام وودَّعتُ العائلة، عدتُ مجددًا إلى الكتيبة.

كان ذلك بعد ظهر يوم الاثنين. جُهِّزنا بالأسلحة والعتاد وأكياس النوم والذخيرة وسائر المعدَّات، وتوجَّهنا إلى المنطقة محمَّلين بنظرات العشق والحماسة التي ودَّعنا بها الإخوة في الكتيبة. وصلنا إلى منطقة «سننَّج» مع طلوع الشمس. وهناك شرح العقيد «بهراميان» لنا الأهميَّة الاستراتيجية لموقع العمليَّات وخاصَّة في حفظ أمن المنطقة. لقد أرسلنا إلى «نوسود»، وهو مكان تنفيذ العمليَّة.

أدخل خبر وصول مظليي الشرطة، وخاصَّة النقيب «محموديان»، الوحشة والخوف على قلب العدو، فهو كان قد أذاق العدو ضربات قاسية في المرات السابقة التي أرسل فيها إلى هذه المنطقة.

أمضينا بقيَّة النهار في إنزال العتاد ونقله. وكان النقيب «محموديان» طيلة هذه المدَّة يعمل معنا جنبًا إلى جنب، ويبدل كلِّ وسعه في مساعدة الإخوة وإنجاح الأعمال.

قسَّم الإخوة إلى مجموعات، وحُدِّدت المواقع. استقررنا أنا و«فرزاد» و«يونس» و«جواد» والعريف «بزمي» في أحد المواقع.

كانت التلة التي استقرنا عليها مشرفة على جميع الطرق وعلى قرى «نوسود» الاستراتيجية وعلى أمكنة تحرك وطرق إمداد واتصال العناصر المعادية للثورة. كانت مهمة مجموعتنا تأمين الطرق والسيطرة عليها، ومنع العناصر المعادية من الاتصال بالقرى المجاورة.

أدى استقرارنا في «نوسود» إلى الحد من تحركات العدو وإمداداته بنسبة تزيد على 60%. واختل تواصلهم مع أكثر من 16 قرية في هذه المنطقة. واستولى الذعر على قواته؛ فاندفعوا إلى الاشتباك معنا كل ليلة بشكل متقطع، من الساعة التاسعة حتى أذان الفجر. وفي الليالي التي كان يتخلف فيها ضيوف الشؤم ويطنغى سكون الليل، كنا نصل الليل بالنهار في انتظار وترقب، تضيق منه صدورنا.

لكن هذه الأوقات الحرجة لم تؤثر في تفاني النقيب «محموديان» وعزمه. وإن كنا نحن نحرس في الليلة ساعتين أو ثلاث، فهو كان يظل مستيقظاً الليل بأكمله؛ ليستريح فقط ثلاث أو أربع ساعات بعد طلوع الشمس. وبقينا على هذا الحال إلى أن كانت تلك الليلة في أواسط شهر فروردين من عام 61 هـ. ش<sup>(1)</sup>.

كنا قد تناولنا العشاء، وانشغل كل منا بعمل ما. «جواد» كعادته، كان يمزح ويضحك. سحب «فرزاد» آخر نفس من سيجارته وأطفأها في منفضة للسجائر، صنعت من ظرف فولاذي لحشوات الرصاص الفارغ. وأنا كنت أتصفح دفتر مذكراتي الصغير، مستعيداً في كل

(1) الموافق لشهر نيسان 1982.

ورقة منه صورة من الماضي. والمذيع، كان يبث بلا توقف، فقط ليكسر السكون الذي يلفنا!  
كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة. توجه «جواد» نحوي، وقال بلهجة ممتزجة بالسخرية:

«يا أكبر... لا تنعس! أرسلت أبناء الناس إلى العمل، ونسيت نفسك! عليك أن تأخذ مكان يونس!»

قمتُ من مكاني مسرعاً. وخلال ثوان قليلة لبستُ ثيابي، وحملتُ المعطف وتوجهتُ إلى موقع الحراسة. كان يونس مشغولاً بالمراقبة بمنتهى الدقة، لاحتمال حدوث اشتباك قوي وقريب، وقد جهز عبوة تليفزيونية<sup>(1)</sup> وضعت في حوزته، كما قضت توجيهات النقيب «محموديان». بعد توجيه التحية والاعتذار لأنني تأخرت عدة دقائق، تسلّمتُ السلاح وجعبة الذخيرة، وجلستُ على كيس مليء بالتراب استخدمناه ككرسي.

التلة التي استقرنا عليها تشبه قطعة السكر المكعبة، وتتوسط سبعة مواقع للحراسة موزعة على أطرافها تتولى الدفاع عنها. وبينما كنتُ أحرس المحيط بدقة وحذر متناهيين، سطع فجأة، نور باهر أسفل الموقع المجاور. كان ضياؤه بنفسجي اللون مائلاً إلى الأحمر، أضاء المكان برمته.

كانت تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها انفجار قذيفة «الآر بي

(1) مصطلح عسكري لنوع من العبوات الموجهة ضد الأفراد.

«جي» من هكذا مسافة. كاد صوتها القوي يذهب بسمعي. أسرع النقيب «محموديان» بالخروج من موقعه، واقترب مني بحذر. كانت الأعشاب والنباتات في مكان الانفجار تحترق وتضيء قسماً من التلة. أُعلِنَت على الفور حالة التأهب والاستنفار، وجمع النقيب الإخوة قائلاً:

«أيها الإخوة! لقد حضر الضيوف الذين انتظرناهم باكراً! كونوا مطمئنين بأننا سنقضي عليهم. فأنا لا أتوقع أي ضعف أو عجز من إخواني الشجعان. هؤلاء يُظهرون أنهم أقوياء وكثر، ولكنهم في الحقيقة ليسوا بشيء».

وفي الأثر، قسّم النقيب محموديان الأفراد إلى عدّة مجموعات. ولم يمض وقتٌ طويل حتى بدأ مهرجان النار! كانت رصاصات القنص تطنّ مثل النحل المزعج، وتصفرّ فوق رؤوسنا بلا انقطاع.

خمنّ النقيب «محموديان» عديد أفراد العدو بنحو 200 شخص، أمّا نحن فلم يتجاوز عدداً 50 شخصاً. وهذا الأمر كان مستغرباً جداً، حيث كان أعداء الثورة يهاجموننا بمجموعات أقل من 10 أشخاص، ومثل هذا الفارق الكبير في العدد يظهر مدى حساسية التلة، وأهميتها بالنسبة إليهم. ولقد أصبحت السيطرة على تلة «نوسود» أمراً مصيرياً.

مرّ على بدء القتال نحو الساعة، والنيران تنهمر من كلّ جهة. جرح عدد من الإخوة، لكن لحسن الحظّ لم يستشهد أحد منّا. كان النقيب «محموديان» على الدوام، كالريح في حركته، يتابع إصدار الأوامر. تصاعدت رميات العدو، ووصلت إلى الذروة، وأدركنا أنّ الأمر قد

شارف على النهاية! وفي هذه الأثناء كان عدد الجرحى يتزايد وقد ارتفع أول شهيد.

استمرّ النقيب «محموديان» برفع معنوياتنا بابتسامته التي لم تفارق شفثيه لحظة واحدة، وهو ما أثار إعجابنا. كان يتنقل بين الأخوة بنشاطٍ لا يعرف الكلل، وبخلقٍ رفيعٍ يكاد لا يُتصوّر، مؤكِّداً على إنجاز المهمّات واتباع الأوامر:

«ثقوا أيّها الشباب، أنكم إن نفذتم كلّ الأوامر بحذافيرها وثبتم حتى الغد، فإننا وبكلّ إباء، سنطهر الموقع من جثث هؤلاء الأعداء القذرة». كانت قد مضت قرابة الساعتين على بدء القتال، عندما أعطى القائد أمراً بأن نكون في منتهى الدقّة والاقتصاد في إطلاق النار؛ كي لا تنفذ الذخيرة القليلة التي بحوزتنا. وهو بدوره كان يرمي طلقة طلقة برشاشه الكلاشينكوف الذي قدّمته الشرطة له هدية كتقدير على مواقفه الشجاعة والمقدّامة.

استمررنا على هذا الحال إلى أن استدعى النقيب محموديان عامل الإشارة، وطلب عبر الجهاز قوآت مساندة من المعسكر. لكن الجواب كان أنّه لا حلّ في الوقت الحاضر، بسبب طول الليل وعدم وجود قوآت تأمينيّة عند الطرقات؛ وكما أنّ العناصر المعادية للثورة على جميع الطرق الرئيسيّة.

كان النقيب «محموديان» يعلم أنّ جهاز اللاسلكيّ مراقب، وأنّ العناصر المأجورة تسترق السمع، ومع ذلك أقدم على هذا الأمر

العجيب، وأعلن أنه لم يتبقَّ من القوّات سوى ثمانية جنود جرحى، وأنه هو نفسه قد جُرح أيضاً وأنّ العدوَّ إن هاجم الموقع، فلن يتمكن من الدفاع عنه! وعندما طلب المعسكر منه الصمود حتّى الصباح لإرسال قوّات المساندة، ردّ النقيب محموديان بصوت غاضب إنّ الطعام (الذخيرة) على وشك النفاد، ولا يمكن الصمود حتّى الصباح بهذا العدد القليل من الجنود! ثمّ قطع الاتصال. كانت المحادثات على الجهاز اللاسلكي تجري عادة بواسطة الشيفرة؛ لذا فإنّ كلامه أوجد شكاً وشبهة في قلب العدو الذي لم يتمكن من أن يعرف إن كانت هذه المسألة واقعاً صحيحة أم لا.

في هذه اللحظة، استلّ النقيب محموديان سلاحاً رشاشاً، واستقرّ في مكانٍ كان قد حدّده بنفسه، وأمر عريف الموقع أيضاً أن يبقى إلى جواره كمساعدٍ له.

تمدّد العريف بجانبه على الفور، وأبلغ النقيب جميع القوّات بالتوقّف عن إطلاق النار، وليس لأحد استخدام السلاح ما لم يطلق النار هو، وأنّه سيّتخذ أشدّ الإجراءات عند المخالفة.

عندما لاحظ العدو أنّنا لا نردّ على نيرانه بالمثل، توقّف عن إطلاق النار. ساد المكان سكون مفاجئ. كان سكوناً عميقاً وثقيلاً إلى حدّ أنّ أخفّ الأصوات كان يُسمع بشكل واضح.

كانت العيون ترقب المحيط باضطراب، والأذان بانتظار سماع صوت، والأصابع تتحسّس الزناد. اقتربت الساعة من الثانية عشرة من

منتصف الليل. أرسل النقيب محموديان إشارة بأن الانتظار شارف على النهاية. مضى ربع ساعة والوضع على ما هو عليه، وفجأة، سُمع صوت خشخشة ضعيفة. كان العملاء قد بدؤوا بالتحرك والتقدم، ولم يمض وقتٌ طويل حتى لاحت أشباحهم المشؤومة من بعيد.

كان ظنُّ النقيب «محموديان» في محلّه. كان عددهم يزيد على 150 شخصًا. وهو أكد على العريف أن يُفهم الإخوة فردًا فردًا أن تبقى حواسهم متيقظة ولا يغفلوا عنه، وأن لا يسمحوا للخوف أن يتسرّب إلى قلوبهم، وأنهم إن التزموا بوقف إطلاق النار إلى حين إعطاء الإشارة، فسوف يحتفظون يقينًا بأرواحهم سالمة.

في هذه اللحظات، كانت عناصر العدو تتقدّم ببطء وهدوء لعبور الممرّ المشرف على الطريق الفرعيّ في الطرف المقابل. وكان النقيب «محموديان» قد أجرى قبل ذلك مسحًا كاملاً للموقع، وحدّد جميع المعابر ونقاط الضعف التي يمكن أن يستغلّها العدو لتنفيذ إليه؛ ولذلك وضع رامياً يُشرف بدقة على ذلك الممرّ.

كنّا نثني في قلوبنا على ذكائه ودرايته وعلمه العسكريّ، وكنّا نزداد إيمانًا بضرورة تنفيذ أوامره في كلّ لحظة.

اقترب العدو من المعبر، ولم يعد يفصله عنّا أكثر من 60 مترًا. كانت قلوبنا تنبض بشدّة، بانتظار الأمر بإطلاق النار، وتساءل لم التريث والتأخير. تملكنا القلق ممّا ستؤول إليه الأمور، بينما كان النقيب «محموديان» يحتضن رشاشه ببرود وطمأنينة، وهو يحدّق بدقة في



المعبر. أصبح الأعداء ظاهرين أمام أعيننا. رأيناهم يتقدمون زحفًا فيتوقفون قليلاً، ويؤمنون طريقتهم ثم يعاودون التقدم. تحرّكوا بحذر رغم أنّهم كانوا شبه متيقّنين من أنّ قوّاتنا قد أُبيدت. وما هي إلاّ لحظات حتّى تمركز أكثرهم في قلب المعبر، وباتت المسافة الفاصلة بيننا لا تتجاوز العشرين مترًا.

استولت علينا الرهبة ممّا ستؤول إليه الأمور، إلى أن كسر صوت رشاش النقيب «محموديان» المدوّي فضاء الصمت. كانت هذه هي الإشارة التي ننتظرها، وانطلقنا نرميهم من كلّ اتجاه. كانوا يسقطون على الأرض كما تتساقط الأعشاب الضارّة تحت سطوة المنجل.

كان العريف يُبرّد سبطانة الرشاش بشكل دائم، كلّما احمرّ لونها من شدّة الحرارة. بناءً على أمر القائد، كانت جميع النيران والقنابل تتركّز باتجاه النقطة التي كان يرمي هو عليها. وفي أقل من عشر دقائق، وقعت خسائر فادحة في مجموعات العدو، لم يكن بإمكاننا تحديد حجمها، ولا تحديد عدد من تبقى ولاذ بالفرار.

بعد المعركة القاسية التي خضناها، استمررنا في حراسة المنطقة مدّة ساعة تقريبًا، إلى أن طمأننا النقيب «محموديان»: «عافاكم الله أيّها الشباب، المسألة انتهت».

خمن النقيب محموديان عدد قتلى العدو بنحو 60 إلى 70 شخصًا. وقد استغلّ العملاء ظلمة الليل، وسحبوا معهم جثث قتلاهم القدرة. شارفت مأموريّتنا على الانتهاء، وكما يقول الإخوة إنّ «قطع الغيار»

الاحتياطية ستصل خلال أسبوعين أو ثلاثة، والتي لم تكن في الحقيقة سوى قوّات البديل التي ستحلّ محلّ الإخوة! وكنا نسمّيها مزاحاً «قطع الغيار»!

بعد تلك الملحمة التي لا تُنسى، حيث ارتفع 3 شهداء ووقع 11 جريحاً، لم يجرؤ العدو على مهاجمة الموقع، ولا حتى على إطلاق رصاصة واحدة باتجاهنا، إلى أن انتهت الأمور. في اليوم الأخير من مأموريتنا، سمعنا مسؤول العناصر المعادية يُهدّد النقيب «محموديان» على جهاز اللاسلكي بصوتٍ حانقٍ يُظهر ثقل الهزيمة التي لحقت بهم قائلاً: «لن أنسى هجوم تلك الليلة أبداً، وفي النهاية سأنتقم!».

جاء اليوم الذي انتهت فيه مأموريتنا. وبعد تسليم الموقع وتقديم النقيب «محموديان» توصياته الأكيدة إلى القائد الجديد، رجع الجميع إلى طهران. ومنذ ذلك الحين، ظلّت ذكرى تلك الليلة الخالدة ماثلة في أذهاننا، نذكرها بمناسبة ودون مناسبة.



... بعد انتهاء خدمتي علمت أنّ النقيب محموديان قد خُتم له  
بالشهادة في إحدى المعارك، ضدّ المعادين الأشرار للثورة، تاركًا  
في قلوبنا أسى وحسرةً لفقده، ورأسًا لنا طريق المرادين لنمضي  
عليه.

## كالوردة الحمراء

انتصف النهار؛ كانت شمس الجنوب الخريفية تسطع بأشعة ذهبية على الصحراء التي استحالت سماؤها بحرًا هائجًا ومتلاطمًا، بفعل الأصوات المدوية لانفجار القذائف المدفعية. لم تكن النيران الغزيرة لدبابات العدو ورشاشاته الآلية لتتوقّف لحظة واحدة. ومع كلّ انفجار، كان التراب والغبار والدخان يعانق السماء، كأفعى مجروحة وغاضبة تلتفّ على نفسها. كانت اللحظة لحظة الموت والحياة، والزمان زمان العشق والانعقاد...

ليلة أمس، أنجزت المرحلة الثالثة من «عمليات محرّم»، وحرّر مجاهدو الإسلام بنجاح «مخفر الزبيدات» والمناطق المجاورة. ومع ظلمة السحر، بدأت الشاحنات والجرافات بحفر الخنادق، لتوفير ملاذ آمن للإخوة المجاهدين تحسبًا لهجوم العدو.

جرى حفر خندق امتدّ بمحاذاة الطريق المعبّدة حتى «مخفر الزبيدات». وبقي القسم الآخر من الطريق المتعرّجة التي تقع إلى الجهة اليسرى من المخفر، وتمتدّ باتجاه العراق إلى الجناح الأيمن، وتنتهي بالمرتفعات المشرفة على المنطقة، حيث كانت تقع مباشرة تحت نظر العدو الذي حشد جميع قدراته وطاقاته في هذه المنطقة

الاستراتيجية، أملاً بالسيطرة عليها وقلب الكفة لمصلحته.

استقر رأي القادة على أن يرسلوا عددًا من وحدات العمليات إلى الخط الأمامي للحد من تقدم العدو. كانت سرية الشهيد «غفاري» من كتيبة «صاحب الزمان» التابعة لـ «لواء كربلاء 25» - والتي أوكلت مهمة قيادتها إلى الأخ «علي غفاري» - إحدى هذه الوحدات المنتخبة. وكنت أنا عنصرًا في قوات هذه السرية.

كانت مهمتنا التموضع على جوانب الطريق المعبد، على مسافة 500 متر إلى الأمام من مخفر الزبيدات. جمع الأخ «غفاري» أفراد القوات المتبقية من المرحلة الأولى للعمليات بسرعة، وكان عددهم نحو 20 إلى 30 شخصًا. وبعد أن أتممنا الاستعداد، تحررنا إلى مكان المهمة نحو الساعة التاسعة صباحًا.

لدى وصولنا إلى المنطقة المذكورة، تقدم أحد قادة قوات الجناح الأيمن، وقال: «نريد عددًا من رماة قاذفات الآر بي جي، فليرافقني من يرغب بصيد الدبابات!». استأذنت من القائد الأخ «علي غفاري» وتحركت فورًا مع عددٍ من الإخوة من رماة «الآر بي جي» في السرية. لم أكن أنظر خلفي خلال السير، لكن عندما قطعنا مسافة طويلة نسبيًا، أدركت أن اثنين من معاوني لم يحضرا. انزعجت جدًا، لكن الوقت كان قد فات ولا جدوى من الانزعاج.

وقرت لنا التلال والمنخفضات ومجاري الأنهار الفصلية في المنطقة موقعًا آمنًا يقينًا نيران وشظايا العدو المباشرة. أوقفنا

القائد في وسط مجرى نهر فصلِيّ صغير يبعد مسافة مئة إلى مئتي متر عن العدو وقال: «فليتفقد الإخوة عتادهم، والرامي الذي لا يكون مصحوباً بمساعديه فلن يكمل معنا!»

وهكذا أُجبرتُ أن أبقى في ذلك المكان إلى جانب أخوة آخرين. مع مضيّ بضع دقائق كان أحد الإخوة يعلن استشهاد أحد المجاهدين، وفي خلال الساعة أو الساعتين اللتين قضيتهما هناك، استشهد العديد ممّن كانوا حولي. لم يعد لي قدرة وطاقّة على البقاء في ذلك المكان! وزاد من حرقتي بُعدي عن «علي» وسائر الإخوة. تحرّكت فوراً نحو موقعنا مستعيناً بالتلال والسيارات، واستطعتُ رغم نيران العدو الغزيرة، أن أصل إلى مكان الإخوة بسلام.

وصلتُ إلى موضع السريّة وقد تملكنتي وحشة خفيّة. كانت أطرافي ترتجف بهدوء، وأنا أتمتم دون توقف: ﴿الْأَبْذِكْرِ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، لعلّي أغلب شيطاني الذي ما انفكّ يوسوس لي. كان قد باغتني إحساسٌ غريب، لكن عندما نظرت إلى ملامح «علي» المنيرة والواثقة، خجلتُ من نفسي وسكن قلبي فوراً! ولو أنّ أحداً من خارج الكتيبة قد وصل توّاً ورأى عليّاً في تلك الظروف، لظنّ أنّه من القوّات الواصلة حديثاً إلى المنطقة، وما كان ليصدّق أبداً أنّه منذ المرحلة الأولى للعمليات وحتى الآن (المرحلة الثالثة)، في حركة ونشاط ولم يسترح للحظة واحدة.

استقبلتني ابتسامته المُرْحَبَة. فوجهه المبتسم ومعنوياته العالية

غسلا كلَّ التعب عن بدني. كان كعادته يتابع أوضاع القوّات بروح مرحة. لم تكن آثار التعب والملل لتُرى أبدًا على وجهه، وهو يقف بكلّ شجاعة على الخطّ الفاصل بين الموت والحياة، يأمر الشباب بالمقاومة. كان معظم أفراد السريّة قد سقطوا بين شهيد وجريح، ولم يبق معه سوى عدد قليل من أفراد التعيّنة، يعاونونه على سدّ الطريق على العدوّ.

كانت معركة الدّم ضدّ السيف! وفي الصفّ الأماميّ لجيش الإيمان ثبت «علي»، كالجبل فوق تراب كان يُزهر فيه كلّ لحظة شهيد مثل شقائق النعمان، وفي كلّ آن تخرق رصاصة قلبًا شجاعًا، وتُفرّق جثمانًا بالدم. كان «علي» يقود قوّاته نحو النصر ويحيي نفوس الإخوة بشجاعته التي لا نظير لها وبابتسامته الخارقة.

كان قائد الكتيبة، لِمَا عهده من «علي» وأسلوبه في القيادة، قد أوكل إليه أكثر أجنحة العمليّات حساسية. وعلى الرغم من صعوبة هذه المهمّة، فإنّ السريّة التي قادها، وبالإضافة إلى السيطرة على مواقعها، فقد هبّت لمساعدة السرايا الأخرى منذ المرحلة الأولى للعمليّات.

لقد رأيتُ أشخاصًا كثيرًا في مواقع مختلفة. كان الاضطراب والقلق ليستولي على أشدهم قوّة وبسالة في مثل هكذا لحظات. لكنّ «علي» لم يكن يشبه أحدًا منهم. لم تكن لحظات العمليّات الحرجة المليئة بالمخاطر لتؤثّر في السكينة التي استوطنته، فكانت شبيهة بلحظات

وجوده في الخطوط الخلفية. وأنا على يقين من أني لو كنت وضعتُ يدي على قلبه لوجدته ينبض بشكل طبيعيّ.

كانت سيطرة العراقيين على المرتفعات المشرفة على الجناح الأيمن، تجعلنا تحت نظرهم طيلة الوقت، وتُمكن مرادهم من مراقبتنا والإشراف علينا بشكل كامل، وتزويد بطاريات مدافع الهاون بإحداثيات دقيقة.

كانت نيران العدو تنصبّ علينا بلا انقطاع، والقناصة استفادوا من الفرصة واستهدفوا الأخوة، وكذلك قذائف «الآر بي جي» كانت تصفر فوق رؤوسنا، وتتفجر على جدران مخفر الزبيدات الخربة.

سخر العدو كلّ قواه ليُنهى المعركة قبل حلول الليل. وكان وضع سرّيتنا صعباً جداً وقد زاد الأمر سوءاً نفاذ الماء والطعام.

بعد اطلاع قائد الكتيبة الشهيد «مزدستان» على الأوضاع الصعبة اقترح على الأخ «علي» عبر جهاز اللاسلكيّ: «إذا تعبتم فتراجعوا!»، لكن «علي» أجاب بقوة وثبات كمادته: «اطمئن... لا معنى للتعب لدينا وسوف أبقى في هذا المكان حتى آخر قطرة دم، وما دام في رمق من حياة لن أراجع أبداً». بهذه الكلمات ازدادت معنويات قائد الكتيبة وشكره بسرور.

إنه لجوابٌ شجاع لا زال رجّع صدها يتردّد في قلب تلك الجبال، كما في أذني.

كنتُ جالساً داخل شقّ عميقٍ، إلى جانب عامل الإشارة والإسناد



وعددٍ من الشباب الآخرين. جاء «علي» وجلس على صخرة صغيرة بالقرب منّا وقال: «ألديك تمر؟»، قلت: «نعم! إنه في الجعبة فوق ظهري».

عندما أخرج علبة التمر من الجعبة كنتُ قد شعرت بالجوع أيضاً، فقلت له: «أعطني علبة من المكسرات فأنا أيضاً جائع جداً». أعطاني علبة وبدأت أكل منها، وهو مشغولٌ بفتح علبة التمر، وقال مماًزحاً: «بخيل! أنقصد هذه العلبة التي فسدت حباتها؟!»، فقلتُ: «يا أخي! هذا التمر بقي من المرحلة الأولى للعمليات»، ثم شرع بالأكل والابتسامه الحلوة تملو وجهه.

فجأة هتف أحد الإخوة الذي كان قد اتخذ متراً سناً خلف تلة صغيرة، على بعد متر أو مترين أمامنا: «علي! العراقيون يتراجعون». لم يُحرِّك «علي» ساكناً، وأجاب وهو يأكل التمر بهدوء: «نعم هذا واضح! عندما يهبط الليل عادة لا يجرؤ العراقيون على التقدم، ومن هذه اللحظة سوف يبدؤون بالفرار». بدا وكأنه علم كل شيء مسبقاً! فمعنوياته العالية وتوكله على الله وقيادته الصحيحة واطمئنانه، كانت السند القوي الذي يلوذ به المجاهدون.

غلب العطش الإخوة، إلى حدّ أنه قام واتصل عبر الجهاز اللاسلكي بقائد الكتيبة طالباً بعض الماء، ثم عاود الجلوس على تلك الصخرة الصغيرة.

شارف يوم امتحان «علي» وإخوانه على نهايته. العدو يغادر المنطقة

يائسًا مطأطئ الرأس ذليلاً، والشمس تأفل ذاهبة لتشهد على شجاعة رجال الله واستقامتهم للأجيال الآتية في المحضر الإلهي. كنا نظنّ أنه تنتظرنا، مع نهاية هذا اليوم الصعب والمليء بالعناء، استراحة ممزوجة بالسرور والعزة. لكنّ نيران مدافع هاون العدو قد اشتدّت على الرغم من فرار قوّاته .

في تلك اللحظة، حضر الماء. غالون بسعة 20 ليترًا، حمله عامل إشارة الكتيبة بمساعدة عدد من المجاهدين الآخرين، وتحلّق عدد من الأخوة حوله لشدة عطشهم. أمّا «علي» فاستغرق في التفكير بهدوء دون اعتناء بما حوله. كانت ابتسامة النصر قد تفتّحت على شفّتيه.

أمّا أنا فقد قمّت من مكاني، واعترضت على ازدحام الشباب على الماء! فنيران العدو كانت تشتدّ وفي كلّ لحظة يحتمل وقوع الخطر. وافقني «علي» وقال: «أيها الشباب! إنه محقّ، لا تتحلّقوا حول الماء، وسوف يصلكم جميعًا.»

ما إن هممتُ بالجلوس حتّى دوى صوت قذيفة هاون سقطت بالقرب منّا، على بعد نصف متر. أحسستُ لحظةً أنّ الخوذة الحديدية انغرست في رأسي، ولم أعد أعي شيئاً حولي. خلعتُ الخوذة عن رأسي. كانت ملطّخة بالدم. في تلك الأثناء كان صوت أنين قد استولى عليّ، إنّه عليّ!. عندما نظرتُ إلى الخلف وجدتُ أنّ عينيه قد أغلقتا ولم يعد يرى شيئاً...

رحل «علي غفاري» مع غروب الشمس؛ ليشرق نوره الوهاج في فجر القيامة. لقد استجاب لنداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي ﴿١﴾، بيقينٍ كاملٍ منذ البداية، وكنْتُ أعلم منذ البداية، أنّ الله تعالى لن يُبقي أُنينه وتضرّعه في منتصف الليالي دون أجر. إنه لحقُّ فأَيُّ أجرٍ حسن قد ناله!



تُلفت النظر قبورٌ باقيةً من الشهداء، داخل مقبرة صامته، في قرية «آزاد شهر» في منطقة مازندران على مسافة من قرية «توران تُرك»، وقبيل الوصول إلى قرية «توران فارس». وعلى شاهد أحدها نُقشت عبارات بسيطة: «التعبويّ الشهيد علي غفاري، مكان الشهادة: موسيان» ...

وكذلك نُقشت العبارات: جئت إلى الدنيا وردة حمراء، وكالوردة الحمراء عشت وفي الدم الأحمر سبحت... سوف نتابع طريقك الدامي. ما من أحد يعلم تمام العلم، قريباً كان أم غريباً، أنّ ساكن هذا القبر الصامت كان قائداً مقدماً، صنع المجد في كلِّ مكانٍ من ساحة الحرب، ولا يزال تراب الجبهة المقدّس يحتضن آثار قدميه، ويبكي دمًا في الليل والنهار، حسرةً على تلك الخطى.

## في السماء.. عُقد القرآن

لم يكن الأمن مستتباً في «کردستان»<sup>(1)</sup> حين دخلتها في ربيع عام 1980م. للمساهمة في الأنشطة الثقافية والاجتماعية.

ذهبت إلى «سنندج»، بادئ الأمر. ولكن بعد مدّة قصيرة أرسلوني إلى «بانه». عرّفتُ عن نفسي والتحقّت بمقرّ الحرس الواقع في المدينة، وباشرتُ العمل فوراً. لكنني فهمتُ بعد عدّة أيّام أنّ المشكلة الأساسية، هي حفظُ أمن المدينة. وما لم يتحقّق الأمن، فلن يكون للنشاطات الثقافية والاجتماعية تأثيرٌ يُذكر؛ لذا توجّهتُ إلى غرفة القيادة، وبعد الاستئذان من الأخ «خادمي»، قائد الحرس في منطقة «بانه»، طلبتُ موافقته على أن أكون في خدمته، إن رأى في ذلك صلاحاً.

تحدّثتُ معي الأخ «محمود خادمي» بوجهٍ بشوش. وبعد سلسلة من الأسئلة المختلفة، سألتني «ما مقدار شجاعتك؟ نحن في هذا المكان بحاجة إلى الإخوة الشجعان والمؤمنين!»، تفاجأت، ولم أعلم بدقّة بماذا أجب. قلتُ بنبرة هادئة: «سوف أبذل كلّ وسعي، وإن قبلني الله سأكون حاضراً كي أقدم روعي الرخيصة فداءً للإسلام». ردّ

(1) كردستان: محافظة إيرانية تقع في الشمال الشرقي للبلاد معظم سكانها من المسلمين الأكراد.

الأخ «خادمي» بجاذبية خاصّة قائلاً: «ليس هذا! إن معيار اختياري هو أمر آخر! اذهب وقف في زاوية الغرفة، وسوف أطلق الرصاص نحوك، فإن كنت تملك شجاعة وجرأة الوقوف، أقبلك.»

تعجبت كثيراً، فأنا لم أكن أتوقّع أبداً هكذا استقبال.

ومع هذا، وعشقا للخدمة في الحرس، ولاعتقادي بأن «خادمي» لن يقدم على إطلاق النار، ذهبتُ ووقفتُ في المكان الذي حدّده. ومرّت لحظة لم أع ما الذي حدث، فقط استشعرتُ طنيناً في أذنيّ من شدة صوت الطلقات! وعندما نظرتُ حولي رأيتُ تقبلاً في حائط على بعد ثلاثين سنتمترًا من مكان وقوفي.

قال بعد دقائق: «لقد قبلت. تعال في الغد، وخذ اللباس الرسمي وتطوّع زميلاً لنا في العمل.»

بدايةً، أثارت هذه المسألة الكثير من الأسئلة لديّ. لم فعل ذلك؟ وماذا لو أصابتني الطلقات؟ ماذا كان ليفعل؟ كانت مجاراتي له تهوّرًا منّي... لكن عندما تحدّثتُ بعد ذلك مع بعض الإخوة الحرس، قالوا إنهم جميعاً اختيروا بهذه الطريقة، وأنه لا ينبغي أن أتضايق، لأنّ لـ «محمود» من الثقة بالنفس والمهارة في إطلاق النار ما يجعله لا يخطئ أبداً. كان الإخوة على حقّ. ففي إحدى المرّات، شاهدتُ بنفسي كيف استطاع «محمود» أن يثقب أنبوبًا بقياس 2 ملم، عن مسافة عشرة أمتار، من الطلقة الأولى.

على كلّ حال، بدأتُ العمل صباح اليوم التالي في دائرة الاستقصاء،

المتعلق بـصور أعداء الثورة، وأوكل لي الأخ «خادمي» مسؤوليّة التعرّف إلى أولئك الأفراد. وكانت الأوامر قضت، بإيعازٍ من «خادمي» - عندما استُرجمت المدينة مرّة ثانية من قبل مجاهدي الإسلام - أن تُجمَع صور المطلوبين عند تفتيش البيوت لحفظها في ألبوم، إضافةً إلى جمع الأسلحة والعتاد.

وهكذا تمكّنّا خلال عدّة أشهر، من إيجاد نحو 200 قطعة سلاح، والتعرّف إلى عشرات المطلوبين واعتقالهم. كان تكليفي أن أقوم بجمع صور جميع الأشخاص الذين أخذوا لأنفسهم صورًا بالزّي المسلّح في ألبوم مستقلّ، حتّى يتمّ التعرّف إليهم واعتقالهم لاحقًا.

كانت محبّتي لـ «محمود» تقوى وتشتدّ مع مضيّ الأيام. كان أسلوب قيادته للحرس بناءً ومؤنّزًا جدًّا. فضي الوقت الذي كانت قوّات أعداء الثورة، المجهّزة بكميّات كبيرة من الأسلحة المختلفة، تستبيح المدينة ليلاً، وتُخضعها لسيطرتها - كانت شجاعة «محمود» وتديبره وجرأته تُلقِي الرعب والرهبّة في قلوبهم، حتّى إنهم أعلنوا في بياناتهم عن جائزة لمن يتمكّن من اغتياله. وعلى الرغم من هذا، لم تكن تمضي ليلة دون أن يتجوّل متنكّرًا داخل المدينة. ومع ذلك كان يُعدّ الخطط لنصب الكمائن والضربات الهجومية، وينتظر الفرصة المناسبة لتنفيذها. وكنّت قد شاهدته مرّات عديدة يتسلّل خفيةً إلى باطن الجبل، برفقة مجموعة من المجاهدين؛ ليهجم على أفراد «الكوملة»<sup>(1)</sup>

(1) الحزب الشيوعي الكردستاني.

و«الحزب الديمقراطي»<sup>(1)</sup> ويُنزَل بهم ضربات قاصمة.

كنتُ مع سبعة من الإخوة المجاهدين في خدمة «محمود» نرافقه ليلاً نهرا. وكلّ واحد منّا كان لديه ذكريات كثيرة عنه. لكن وللأسف، مع نهاية المأمورية غادر الإخوة، وبقيتُ معه وشخص آخر. وبعد مضيّ عشر سنوات على تلك الأحداث، لا تسعفني ذاكرتي على استعادة كلّ الوقائع. لكنني ما زلت قادراً على تذكر حادثة بوضوح، حصلت قبيل شهادته.

بالإضافة إلى الإخوة، كانت هناك 3 أخوات من المضحيات يعملن في عداد قوات الحرس. وكنّ، بالإضافة إلى العمل في الأمور التعليميّة والتربويّة، وفي قسم جهاد البناء في مدينة «بانه»، يصرفن قسماً من وقتهنّ أيضاً في تقديم المساعدة للإخوة في الحرس، ويتولّين مسؤولية استجواب وتفتيش ومراقبة السّجينات من النساء. وفي أحد الأيام، إثر حادثة مؤلمة، أصيبت إحداهنّ بجراح خطيرة، وقام «محمود» بنقلها إلى المستشفى وهي بين الموت والحياة. كان قد مرّ على وجود هذه الأخت في مدينة «بانه» نحو سنة. كانت من أهل طهران والأنشط بين الأخوات. بعد مضيّ عدّة ساعات عاد «محمود» إلى مقرّ قوات الحرس، ووجهه مضطرب وحزين، وأعلن شهادة تلك الأخت، وهو في حالة عجيبة.

(1) أحد الأحزاب الكرديّة.

لم أكن حاضراً في ذلك الموقف، إذ توجب عليّ الذهاب إلى مدينة «باختران» لإنجاز مهمّة، لكنني سمعت من الإخوة الذين كانوا هناك، أنّ «محموداً» أضاف بعد إعلانه الخبر:

«أيّها الإخوة! أنا الآخر لن أعيش بعد هذا، ولعلّ الله أراد أن يعقد

قراننا في العالم الآخر».

أذكر أنّني سألتُ «محموداً» في أحد الأيام: «لم لا تتزوج؟» فأجاب: «حتّى الآن لم أجد الزوجة التي أريدها أنا أريد من تحذو حدّوني في كلّ الأحوال، حلو الحياة ومرّها، حتّى إنّني أريدها أن تكون رفيقة سلاح لي في ميدان القتال وأن تعينني على هذا الطريق».

بعد تلك الحادثة فقط، فهمتُ أنّ «محموداً» كان قد اختار لنفسه زوجة المستقبل، غير أنّ إرادة الله شاءت أن يُحقّق «محمود» أمنيته في ذلك العالم. فبعد عدّة أيام من شهادة الأخت، وقعت حادثة مؤلمة: كانت السّاعة الحادية عشرة ليلاً. أصيب أحد الإخوة بمرضٍ شديدٍ ولزم أن يُنقل إلى المستشفى. تصدّى «محمود» لهذا العمل بمرافقة أحد الأخوة. وكانت المستشفى تبعد 5 كلم، والطريق إليها يمرّ بالمدينة.

لم يكن قد مضى على خروجهم عدّة دقائق، حتّى مرّق سكون الليل صوت رشقات نارية متلاحقة. استنفر الإخوة وتحركوا باتجاه الصوت، فوجدوا السيّارة وقد توقّفت عند مثلث طرق، بعد أن تعرّضت للهجوم من ثلاث جهات. أسرع الإخوة وأخرجوا جثّة



«محمود» الفارقة في الدم، والممّرقة بطلقات الرصاص من داخل السيّارة؛ أمّا الشخصان الآخراّن فقد أصيبا بجراحٍ بليغةٍ. وفيما بعد روى أحدهما ما جرى:

كنا في الطريق إلى المستشفى، عندما تعرّضت السيّارة لهجوم مفاجئ من ثلاث جهات. أصبنا نحن الاثنين بالرصاصات الأولى، وأغمي علينا في أرض السيّارة. لكنّ «محموداً» هبّ للمواجهة وقاوم حتّى آخر طلقة. وعندما رأى أفراد العدوّ جرأة سائق السيّارة وشجاعته، غافلين عن أنّه «محمود خادمي»، قائد قوّات الحرس (في المنطقة)، اقتربوا من السيّارة بعد أن أردوه شهيداً. ولأجل إطفاء نار غضبهم وحقدهم، هشموا وجهه ببندقية «ب. ب. ج» وابتعدوا عن المكان مسرعين.

استشهد «محمود خادمي» مع تشكّل خيوط الفجر. وبعد انتشار الخبر، سادت المدينة حالة عجيبة. أُقيمت المآتم وعمّت حالة العزاء بسبب الفاجعة. شُيع الجثمان الطاهر في ذلك اليوم، في مراسم مهيبة من مقرّ قوّات الحرس إلى المسجد الجامع حيث ودّعه المحيّنون.

رجعتُ إلى المعسكر بعد مراسم التشييع؛ كي أستريح قليلاً. لم تمضِ عدّة دقائق، حتّى استيقظتُ على أصوات وضجيج، لأجد أمام باب المعسكر عدّة نساء وأطفال يبكون مصابهم بحرقّة، ويندبون الشهيد خادمي.

سألتُ أحد الإخوة من حراس المعسكر عمّا يجري فأجاب: «لقد

كان الشهيد خادمي يذهب ليلاً إلى قلب المدينة؛ ليتفقد - مثل مولاه عليّ عليه السلام - بيوت الفقراء والأيتام، ويُقدّم الطعام ولوازم العيش وحتى الألعاب لأطفالهم!..



## مسيح كردستان

منذ الأيام الأولى لحضور «محمد» في الجبهة الغربية للبلاد، جذب إليه الإخوة المجاهدين كالمغناطيس. ولم تمضِ مدّة، حتّى أوكلوا إليه قيادة العمليّات على تلك الجبهة، والتخطيط لعدد كبير منها. وعكف بمساعدة جميع رفاق سلاحه، من أمثال «كاظمي»، «كنجى زاده»، «سعيد كولا ب»، وغيرهم... على تطهير منطقة كردستان، وتحريرها ببسالة من يد أعداء الثورة، محققاً انتصارات باهرة.

لكن، لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى سمحت الحكومة المؤقتة<sup>(1)</sup> - بسياساتها المتوالية، التي شكّلت تارة ما سمّي بـ «هيئة حسن النية»، وخطّطت تارة أخرى لنزع سلاح المسلمين الأكراد - بإعادة سيطرة أعداء الثورة على كردستان.

في إثر هذه الأحداث، سارع «محمد» إلى عرض خطة تشكيل منظمة «الفدائيون الأكراد المسلمون»<sup>(2)</sup>، على المجلس الأعلى لحرس الثورة، بهدف توحيد المسلمين الأكراد المهجّرين وتنظيم صفوفهم في

(1) هي أول حكومة تشكّلت بعد انتصار الثورة الإسلامية.

(2) البيشمركة الكردية.

مواجهة أعداء الثورة، المرتبطين بالاستكبار. وقد أقرت هذه الخطة بجهود ومعاونة اثنين من أعضاء مجلس الثورة: الشهيد المظلوم آية الله بهشتي، وحجة الإسلام والمسلمين الشيخ رفسنجاني، وأوكلت مسؤولية تشكيلها إلى محمد. وبتشكيل هذه المنظمة، تم القضاء على دعايات الاستكبار العالمي المخادعة، واستطاع «محمد» بواسطتها القضاء على مخطط إيجاد إسرائيل ثانية في كردستان.

بالتزامن مع اندلاع الحرب المفروضة، قررت أنا وعدد من الإخوة المجاهدين، أن نتوجه برفقة محمد إلى مدينة «سربل ذهاب». وبعد مواجهة شديدة، نجت المدينة من سقوط حتمي، بفضل حسن قيادة «محمد» وجهود الإخوة وتضحياتهم. أصيب «محمد» خلال تلك العمليات في يده وأمضى فترة في المستشفى.

كان «محمد» يتفقد أحوال جميع الجبهات، ويستمع إلى كلام المجاهدين ومطالبهم، ويسعى شخصياً في حل مشكلاتهم. كانت جميع حركاته وسكناته مثلاً يُحتذى، لجميع أصدقائه ورفاقه.

كانت حالاته الخاصة عند الصلاة والعبادة، وحرصه الشديد على المشاركة في مراسم دعاء التوسل، ودعاء كميل، والبسمة التي رافقت محيَّاه في جميع لحظات الحياة وأحوالها، وحسن السلوك والإدارة والتدبير لمشكلات المنطقة في مواجهة أعداء الثورة، ومحبته الشديدة للناس والقدائين المسلمين، كلها كانت أنواراً ساطعة تظهر لنا ولكل من كان يعرفه، جوانب من شخصيته الرفيعة.

بعد أن قُسمت قُوّات حرس الثورة على المناطق، تولّى «محمد» قيادة المنطقة السابعة، التي كانت تشمل محافظات «همدان» و«باخران» و«كردستان» و«إيلام». وعلى الفور، طرح تأسيس مقرّ للقيادة عُرف بمقرّ «حمزة سيّد الشهداء».

كان المسؤولون يريدون منه أن يتولّى قيادة هذا المقرّ، لكنّه لم يقبل. وفي النهاية، وبعد إصرار شديد من قادة آخرين، قبل منصب نائب قائد المقرّ، لبدأ بإنزال ضرباته الصاعقة بأعداء الثورة من ذلك الخندق المقدّس.

ومن إبداعاته الأخرى، كان تأسيس لواء «الشهداء الخاصّ»، والذي لقي ترحيباً حارّاً من المجاهدين، وحقّق نجاحات باهرة.

تميّز محمد بروحه المتسامحة وصدوره الواسع، فكان يتحيّن الفرص المناسبة لزيارة «التوّابين» المعتقلين، المغرّر بهم في السجون. كان في تلك الليالي يجلس بينهم بتواضع وعظمة ويستمع إلى كلامهم بصبر وتحمل. كان ينصتُ إلى شبهاتهم بروح أخويّة، ويبقى حتّى وقت متأخر من الليل، يبحث المسائل المختلفة. كان يصل الليل بالنهاية، وينام بينهم بثقة وبال مطمئنّ، حتّى إنّ كان يرافقهم للرياضة الصباحيّة. وقد بعثت أعماله في نفوس «التوّابين» حماسة وشوقاً خاصّين دفعا بالكثير منهم إلى محاربة أعداء الثورة والاستشهاد في سبيلها.

كان لأحد قادة الحرس - واسمه «ناصر كاظمي»، والذي كان رفيق جهاد محمد وعاشقاً له - دورٌ في عمليّات تطهير الطريق العام «بانه» -

سردشت». كانت هذه العمليّات على قدر كبير من الأهميّة، وقد تشاركا في حمل أعبائها الثقيلة.

عند بدء التقدّم، قال عددٌ من المجاهدين للأخ كاظمي: «قل للأخ بروجردي نقلاً عنّا، أن لا يتحرّك أمام الإخوة إلى هذا الحدّ، فمن الممكن أن يتعرّض للأذى». لكنّ «محمّدا» قال بوجه متوهّج ومتورّد: «إن كان هناك من ولاية، فأنا من له عليكم ولاية. فلا تتعدّوا حدودكم إلى هذا الحدّ!»

استشهد العديد من القادة من رفاق «محمّد» خلال تطهير الطرقات والمجاور، ومواقع أخرى لأعداء الثورة. وفي إثر شهادتهم، تولّى «محمّد» فوراً قيادة عمليّات التطهير، في محورٍ صعب العبور؛ هو محور «بيرانشهر- سردشت»، وقاتل خلال هذه العمليّات لحظة بلحظة إلى جوار المجاهدين.

كنا قد نزلنا يوماً في أحد المواقع المحيطة ب«أرومية»<sup>(1)</sup>، عندما وصلنا فجأة، خبر أنّ طائرة هليكوبتر تقلّ الأخ «بروجردي» واثنين من رفاقه، توشك على السقوط. تحرّكنا لأجل تقديم المساعدة لهم، وحينما وصلنا إلى مكان الحادث، ذُهل الجميع لما رأوه! كانت الهليكوبتر محطّمة، لكنّ ربّانها وبقية الركّاب أحياء. ورغم أنّ قدم «محمّد» اليمنى العالقة تحت قسم من هيكل الطائرة، قد كُسرت وسُحقت لم يبد عليه الانزعاج حتّى بتقطيب حاجبيه. حينها، أسرع

(1) مدينة أرومية مركز محافظة اذربيجان الغربية الإيرانية

عددٌ من أهالي إحدى القرى المجاورة نحوه لاهثين، بعدما رأوا من مسافة بعيدة الطائفة تسقط، وباشرنا جميعاً بتقديم المساعدة. من بين الأخوة الحرس، كان هناك أخ يجهد بقوة ليسحب قدم محمد المجروحة، من تحت هيكل طائرة الهليكوبتر، بمساعدة الأهالي الذين هبوا بكل إخلاص لإنقاذ محمد. توجه هذا الأخ إلى الناس وقال لهم بمحبة ولكن بصوت عال: «انتبهوا.. اسحبوه بهدوء...». وعلى الرغم من أن صراخه لم يطغ على العطف الذي بدا منه تجاه الأهالي، فإن «محمدًا»- الذي كان في حالة لا يحسد عليها من الألم- توجه إليه قائلاً: «لم لا تتصرف مع الناس بأخلاق إسلامية؟!».

وعندما كان يُذكر أمام «محمد» حديث عن أحد الأخوة، لم يكن يلتفت إليه أو يعير الأمر أي اهتمام. وإذا استاء أحياناً من سماع أمور قيلت عن أحد منهم، كان يُردّد «اللهم اغضرب لنا». في البداية، كنا نظن أنه استاء من اغتياهم له. لكنّ محمدًا بنظرته الجميلة ولحن كلامه العذب كان يقول لنا: «أنا منزعج من وقوع أشخاص جيدين على هذا النحو في الغيبة والمعصية بسببي، أنا الإنسان عديم القيمة الذي لا يكاد يبين».

كان «محمد» يتحسس جدًّا من الكذب. أذكر في أحد الأيام أننا كنا في مقر قيادة الحرس في «مهاباد»، نقرأ جميعاً «إلهي عظم البلاء» بعد أن أقمنا صلاة الجمعة. وما إن فرغنا حتى فوجئنا به يقف ويلتفت إلى الإخوة قائلاً: «هل وصلنا فعلاً إلى المرحلة التي حل بنا البلاء؟



هل فعلاً انقطع أملنا من كل شيء ونحن نطلب العون من الله؟ علينا أن ننتبه أيها الإخوة حتى لا نقول كذبة واحدة والعياذ بالله». كان «بروجردي» يفرّ دائماً من الأحاديث الصحافيّة والكاميرات التلفزيونيّة، وكان يريد أن ينأى بنفسه بعيداً عن المظاهر والضوء، وأن يظلّ مجهول الذكر. كان دائماً يقول بإصرار: «لا تصوّروا عني فيلماً، اذهبوا وصوّروا هؤلاء الإخوة الذين يقاتلون».

في إحدى المرّات، عند تطهير محور «بانه - سردشت»، وأثناء وجوده في محافظة «سردشت» وجّه أحد المصوّرين كاميرته نحوه وأخذ بضعة مشاهد له. لكن «محمّدا» ذهب إليه، وبمنتهى الأدب استعاد ذلك المقطع المتعلّق به ومزّقه. كان يُحطّم نفسه الأمّارة، وهو كان حاضرًا أن يؤدّي أيّة خدمة ويتحمّل أيّة مسؤولية من أجل الإسلام. بالنسبة إليه، كان تولّي القيادة أو ما دونها من المهام سيّان.

كان لكلام «محمّد» تأثيرٌ خاصّ؛ فالإخوة الذين أنهكهم ضغط العمل كانوا يستعيدون حيويّتهم بعد أن يتحدّثوا عدّة دقائق مع محمّد، ويتوجّهون مجدّداً إلى عملهم، بقلوبٍ حارة ملؤها الأمل. أحياناً كان بعض الإخوة يخلتقون الأعذار لأجل أن يفوزوا ببضع دقائق معه؛ علّه يفيض عليهم بما يحتاجونه من معنويّات.

كان محمّد مظهر الإيمان والتوكّل على الله تعالى والاعتماد عليه. ففي إحدى المرّات وخلال عمليّات «مطلع الفجر»، عندما تشرّفتُ بالخدمة في عداد قوّاته، وقعت حادثة نادرة:

عندما تقرّر تحرير معبر «كورك»، تقدّمنا لمسافة كبيرة، لكننا لم نوفق وللأسف بشكل كامل، لأنّ عددًا من الإخوة الذين كانوا يتحرّكون باتجاه رأس أحد المرتفعات، وقعوا خلال تقدّمهم تحت مرمى النيران العراقية وتوقّفوا.

فورًا، قام قائد المجموعة بإبلاغ «محمد» على الجهاز اللاسلكي، بأنّه يلزمهم قوّة مساندة. فأجابته قائلاً: «قاوموا، وستصل القوات سريعًا لمساعدتكم». بالطبع، تعجّبنا من موقفه لأننا لم نكن نملك قوّة مساندة في (الميدان)، ولم ندر على أيّ أساس قال هذا الكلام. بعد مدّة، جرى الاتصال ثانية، ومجدّدًا قال «بروجردي» بطمأنينة: «قاوموا وستصل القوات». في المرّة الثالثة، استشهد عامل اتصال مجموعتنا، وصرخ قائد تلك المجموعة بعصبية: «لَمْ لَا ترسلون القوّة؟»، فتعالى من الجهة الأخرى صوت «محمد» على جهاز اللاسلكي أن: «قاوموا، فتأتي ملائكة الله». ثمّ هزّ قلوبنا جميعًا بتلاوته لآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(1)</sup>.

لم يكن «محمد» يتظاهر أبدًا بحبه للشهادة، لكن عندما كان يسمع بخبر شهادة أحد أصحابه أو أصدقائه كانت حاله تتبدّل ومزاجه يتغيّر، وترسم على وجهه علامات تُظهر بوضوح عشقه للشهادة. من الذكريات الجميلة التي لا زالت إلى الآن باقية في ذهني هي

(1) سورة فصلت، الآية: 30.

تلك الخاصة بإعادة تحرير محور «بانه - سردشت». لم يبقَ على بدء العمليات سوى بضع ساعات، وكنا قد جلسنا مع «محمد» في أحد الأمكنة، بصحبة الأخ «عياري» - مسؤول عمليات الحرس في «بانه» - الذي تحدّث بشوق عن منامه ليلة أمس، حيث رأى الأخ «عياري» أنه سيستشهد في عمليات اليوم. فما كان من «محمد» إلا أن نهض من مكانه بشكل مفاجئ وركض نحوه، طالباً منه بحماسة وشوق لافتين، أن يُعيد ذكر المنام... تحققت الرؤيا وفي نفس ذلك اليوم ذاق «الأخ عياري» شهد الشهادة العذب.

كان صبر «محمد» وتحمله مثيراً للعجب. كيف لا، ولم تكن البسمة لتُحى عن وجهه، حتّى في المصائب والمشكلات. ففي اللحظات العصيبة للبلاد، وضغوط الحرب التي لا ترحم، وفي الوقت الذي كانت فيه مدننا تسقط، ويرتفع الشهداء القادة والأصدقاء، كان يقف بصمودٍ وثباتٍ، وسط ضعف الكثيرين وعجزهم عن التحمل، وكان يقول ببسمته المعهودة: «هذه الشهادات طبيعية وضرورية للثورة. لا ينبغي أن يضطرب الإنسان من هذه الأحداث».

في جمعتي ذكريات كثيرة عن رويّة «محمد»، عن الثقة بالنفس، والشجاعة.

تقع في «جوانرود» منطقة تسمى «زلان»، تمتدّ على مساحة ثلاثين كيلومتراً. كانت هذه المنطقة بالكامل تحت سيطرة قوات أعداء الثورة، وكانت عمدة هذه القوّات تتشكل من أفرادٍ على خلاف مع

أبناء المنطقة. وقد أمدهم العراق بالسلاح لمحاربة نظام الجمهوريّة الإسلاميّة.

في إحدى المرّات، بعث أحدهم برسالة مفادها أنّهم حاضرون لينضمّوا إلى منظّمة «الفدائيون المسلمون»، شرط أن يحضر أحد المسؤولين للتفاوض معهم. وصلت الرسالة إلى «محمد»، فتوى بمنتهى العزّة 30 كلم برفقة عدد من الإخوة. ذهب إلى قلب قرية تعجّ بقوّات معادية للثورة، وهو لا يحمل سوى مسدّس واحد. أدهشهم صدقه وتواضعه. كيف لا وهم يحملون نظرة مناقضة عن حراس الإسلام وقادتهم؟ أشعرهم موقفه بالخجل، فوضعوا أسلحتهم أرضاً واستسلموا، والتحق أكثرهم بمنظمة «الفدائيون المسلمون الأكراد».

كان «بروجردي» يمتلك عقيدةً راسخة لا تتزلزل فيما يتعلّق بعالم الآخرة. وكان أمله كبيراً جدّاً بفضل الله تعالى، وعونه. أذكر في إحدى المرّات أنّ نقاشاً فُتح في مقرّ عمليّات الجبهة الغربية، عن أحد محاور العمليّات، وما إذا كانت العمليّات ستنجز على ذلك المحور أم لا؟ انقضت ساعات من الليل وجميع العقول مشغولة بدراسة الخريطة، لكن دون الوصول إلى نتيجة. أخذت «محمد» وهو ينظر إلى الخريطة، إغفاءة. وبعد فترة هبّ واقفاً وأيقظ البقيّة، ثمّ قال بحزم: «يجب أن تُنجز هذه العمليّات».

سأله الإخوة عن سبب هذا القرار المفاجئ، لكنّه لم يقل شيئاً.

وبالفعل أُنجزت العمليّات بنجاحٍ كاملٍ. وعندما بحثنا من جديد عن سبب ذلك القرار، أجاب: «الشخص الذي كان يجب أن يرشدني جاءني في المنام وقال: قوموا بهذه العمليّات!»

لم يكن «محمّد» يترك صلاة الليل مطلقاً. وكان يعطي لهذا الأمر أهميّة كبيرة.

في إحدى مراحل العمليّات التي كان مقرّراً أن تُتجزّ بالتقريب من «مهاباد»، عُقدت جلسة بمشاركة عدد من المجاهدين وقادة المنطقة، ودار الحديث في تلك الجلسة حول تحديد المحور الذي ستشُنّ منه الهجمات.

امتدّ البحث حتّى الساعة الحادية عشرة ليلاً، وكان كلّ واحد من الإخوة يعطي وجهة نظر، لكننا لم نصل في النهاية إلى نتيجة أيضاً. توجّه «محمّد» نحو القبلة بحالة عرفانيّة ودعا بخضوع: «إلهي! أنت تعلم أننا عاجزون، وأنّ عقولنا قاصرة عن أن نقوم بأيّ فعلٍ دون عونك، وأننا منذ البداية لم نكن من المدّعين. إلهي! امنحنا أنت روح الفرج!».

جمّع الإخوة الخريطة، ولأنّ الوقت كان متأخراً، نام الجميع. عند الفجر، استيقظنا على تلاوة القرآن بصوت «محمّد». صلينا الصبح، وبعد ذلك، طلب منّي «محمّد» أن أحضر الخريطة. وبينما كنتُ أناوله الخريطة، سألتُ: «ما الذي حدث؟»، قال «محمّد» بدم باردٍ: «جُل بنظرك بدقّة على الخريطة وجدّ قرية «قره داغ». تجمّع الإخوة

وتساءلوا بدهشة: «ما هي هذه القرية قره داغ؟ فكرّر طلبه» جدّوا «قره داغ» على الفور. مسحنا الخريطة بأعيننا، لكننا لم نجد شيئاً. صلّى محمّد من جديد وتلا القرآن، ثمّ قال: «اجلبوا الخريطة وابحثوا فيها». فعلنا ما قاله، ووفّقنا في النهاية إلى أن نجد قرية «قره داغ». سرّ «محمّد» كثيرًا. سألتناه والدهشة تعترينا: «ما الأمر أيّها الحاج؟ فأجاب مبتسمًا: «هذا هو حلّ القضية، قوموا لنذهب».

صبيحة ذلك اليوم، عُقدت جلسة في مقرّ حمزة (في أرومية)، بمشاركة ضباط من قيادة الجيش، وقائد الفرقة، وقائد المقرّ. وعندما أوضح «محمّد» في تلك الجلسة جزئيات خطّته، اعتبرها القادة خطّة ممتازة وقبلها الجميع. وبعد انتهاء الجلسة، توجّهت أنا وعدد من الإخوة إليه، بدافع من الفضول، وسألناه كيف أعدّ هذه الخطّة، ونحن فكّرنا حتّى آخر الليل، ولم نستطع أن نصل إلى نتيجة.

أجاب «محمّد»: «عندما نمنا جميعًا، استيقظت أنا بعد ساعة، وتوسّلتُ وصلّيتُ ركعتين، وطلبتُ العون من الله. وبعد أن نمت ثانية، جاءني ضابط في المنام وقال: يا فلان لماذا تتوقّفون عن العمل إلى هذا الحدّ؟ اذهبوا واستولوا على «قره داغ» وهناك (تجدون) حلّ قضيتكم...»

بشعره الأشقر الداكن، ولحيته الشهباء. كان «محمّد» معروفًا بين المجاهدين باسم «مسيح كردستان»، وإن كان بعضهم يعتبرونه أبًا لكردستان، فإنّه في الحقيقة، كان أبًا لغرب البلاد كلّها. كيف لا وقد

بكت عند استشهاده جميع نواحي غرب البلاد وأقاليمها؟  
لقد كانت إحدى الخصال البارزة لهذا العظيم مواساته للإخوة.  
فعلى الرغم من مشاغله الكثيرة كان يجلس لساعات مع المجاهدين،  
ويُصغي إلى مشاكلهم وهمومهم.

كثيرٌ من الأفراد كانوا يعقدون العزم على مغادرة منطقة  
کردستان، بسبب المشاكل الكثيرة فيها. لكنهم كانوا يُبدلون رأيهم  
تماماً، ويُقررون البقاء في المنطقة، بعد أن اجلسوا إلى محمّد  
ويتحدّثوا معه.

في الأيام الأخيرة التي اقترب فيها من الشهادة، كان «محمّد»  
يسعى بشتّى السبل؛ كي يختار مكاناً لاستقرار لواء الاستشهاديين  
الخاصّ. وقد فزتُ بشرف خدمته في مسعاه هذا، برفقة أربعة إخوة  
آخرين.

في أحد الأيام توجّهنا، للقيام بهذه المهمة إلى مكان جرى  
استطلاعُه من قبل، لاستقرار اللواء الخاصّ. خلال الطريق، جلس  
أحد الإخوة إلى جانب «محمّد» يحدّثه عن مشاكله، ومحمّد يشرح  
له عن يوم القيامة، وأجر الجهاد والشهادة، وتضحيات مسلمي صدر  
الإسلام إلى أن وصلنا إلى تقاطع طريق «مهاباد-نقده»، عندها قلنا  
له: «حاجّ محمّد، انتظرنا هنا حتّى نذهب ونستطلع المكان»، لكنّه  
لم يقبل.

اضطررنا للموافقة على طلبه مرافقتنا. وبعد إصرار منّي، استقرّ

الرأي على أن نصعد في سيارة مجهزة برشاش دوشكا، يرافقنا أحد الإخوة، لنواكب سيارته ونؤمن حمايته طول الطريق.

تحرّكنا في المقدمة، واستقلّ الأخ «بروجردي» سيارة عسكريّة (جيب) وراءنا برفقة ثلاثة إخوة. لم يمرّ الكثير من الوقت، ولم نكن قد ابتعدنا عنهم كثيرًا، عندما دوى فجأة صوت انفجار رهيب من الخلف. عبرت سيارته فوق لغم، وقبل أن نصل إليهم، كانوا قد نالوا أمنيّتهم.

كان وجه «محمد» الدامي لا زال مبتسمًا، وفي لحظةٍ مرّ في خاطري أنّه قال: «فزتُ وربّ الكعبة».

والحمد لله ربّ العالمين







قد كتبت بشكل لا إراديّ على كتاب «قاندي»  
عندما قرأته، عبارات من الزيارة:  
السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه...  
لقد رأيت واقِعًا أنّ الإنسان يشعر بالحقارة في مقابل  
هذه العظمة. وعندما رأيت هذه العظمة في هذا  
الكتاب، أحسست واقِعًا بالضّعة في نفسي.

الإمام الخامنّي عليه السلام



جمعية المعارف الإسلاميّة

AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

بيروت - لبنان - العمورة - الفارغ العام

تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142

[www.almaaref.org](http://www.almaaref.org)

Email: info@almaaref.org